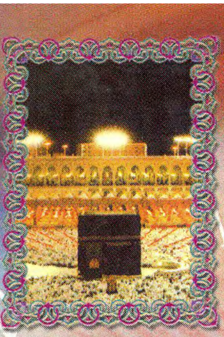

مجلة إسلامية - ثقافية - شهرية
تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية

التوحيد

السنة الواحدة والثلاثون - العدد الحادي عشر - ذي القعدة ١٤٢٣ هـ - الثمن ١٠٠ قرش

آكل الربا وموكله!!

فوائد البنوك.. ومخالفة رب العالمين!!

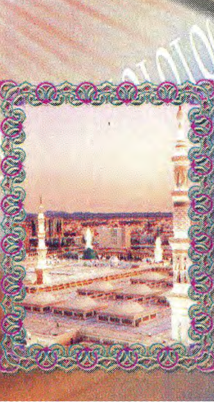

مؤتمر المسلمين.. ومخالفات الحجيج!!

بسم الله الرحمن الرحيم

• صاحبة الامتياز •
جماعة أنصار السنة المحمدية

المشرف العام
د. جمال المراكبي

اللجنة العلمية
زكريا حسيني
جمال عبدالرحمن
مجدي عرفات

التوزيع الداخلي:
مؤسسة الأهرام
وفروع أنصار السنة المحمدية

الاشتراك السنوي:
١- في الداخل ١٥ جنيهاً (بحوالة بريدية داخلية باسم مجلة التوحيد - على مكتب بريد عابدين).
٢- في الخارج ٢٠ دولاراً أو ٧٥ ريالا سعوديا أو ما يعادلها.
ترسل القيمة بحوالة بنكية أو شيك . على بنك فيصل الإسلامي - فرع القاهرة - باسم مجلة التوحيد - أنصار السنة (حساب رقم / ١٩١٥٩٠).

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر

السلام عليكم

اللسان بيت الداء

اللسان هو العضو الذي لا يتعب ولا يكل من كثرة العمل، وهذا من فضل الله تعالى على المؤمنين الذين يحسنون استغلال أوقاتهم ويسخرون جوارحهم في طاعة الله عز وجل، ويرطبون ألسنتهم بذكر الله عز وجل، والنبي ﷺ يقول: «كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم».

فالواجب علينا أن نرطب أفواهنا وألسنتنا بذكر الله، وأن نحذر من زلات اللسان وآفاته، فإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً تهوي به في النار سبعين خريفًا.

والمؤمن الحق هو الذي يتكلم بالخير والمعروف ويمسك عن الشر، مصداقًا لقول النبي ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت».

الرئيس العام

التحرير / ٨ شارع قوله - عابدين - القاهرة
ت: ٣٩٣٦٥١٧ فاكس: ٣٩٣٠٦٦٢
قسم التوزيع والاشتراكات ت: ٣٩١٥٤٥٦

المركز العام: القاهرة - ٨ شارع قوله - عابدين
هاتف: ٣٩١٥٥٧٦ - ٣٩١٥٤٥٦

رئيس مجلس الإدارة

محمد صفوت نور الدين

رئيس التحرير

جمال سعد حاتم

مدير التحرير الفني

حسين عطا القراط

في هذا العدد

الافتتاحية : فوائد البنوك ومخالفة رب العالمين ٢
د . جمال المراكبى
باب التفسير : سورة الصف ٥
د . عبدالعظيم بدوي
باب السنة : آكل الربا وموكله زكريا الحسيني ٩
كلمة التحرير: مؤتمر المسلمين ومخالفات الحجيج ١٢
رئيس التحرير
باب منبر الحرمين: الأمة الأمل والعمل د. صالح بن حميد ١٦
كيف تصبح مليونيرًا: د. صقر بن علي العمري ٢١
الحجاب الشرعى للمرأة المسلمة ٢٢
الشيخ صفوت نور الدين - رحمه الله
من دلائل النبوة: محمود عبد الرازق ٢٥
ابتلاءات على طريق أهل الإسلام: علي الوصيفي ٢٨
ليظهره على الدين كله: ٣١
فهد بن عبد الرحمن اليحيى
الإعلام بسير الأعلام: مجدي عرفات ٣٤
واحة التوحيد ٣٦
أقوال واعتقادات خاطئة: طلعت ظهران ٣٨
من روائع الماضي: محمد خليل هراس ٤٠
رجال مؤمنون ونساء مؤمنات: فتحي عثمان ٤٥
اقرأ من مكتبة المركز العام: علاء خضر ٤٧
أطفال المسلمين: جمال عبد الرحمن ٥٠
أسئلة القراء عن الأحاديث: أبو إسحاق الحويني ٥٣
تحذير الداعية: علي حشيش ٥٦
الفتاوى: ٦٠
فتاوى ابن عثيمين: ٦٣
القول الجلي في الولاية والولي ٦٥
معاوية محمد هيكل
مفاهيم عقائدية: أسامة سليمان ٦٩

ثمن النسخة:

مصر جنيه واحد، السعودية ٦ ريالات، الإمارات ٦ دراهم، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكى، الأردن ٥٠٠ فلس، العراق ٧٥٠ فلسًا، قطر ٦ ريالات، عمان نصف ريال عماني.

البريد الإلكتروني

المجلة	Mgtawheed@hotmail.com
رئيس التحرير	Gshatem@hotmail.com
التوزيع والاشتراكات	see@islamway.net
موقع المجلة على الإنترنت	www.altawhed.com

التوحيد
أكل الربا وموكله !!
فوائد البنوك ومخالفة رب العالمين!!
مؤتمر المسلمين.. ومخالفات الحجيج!!

افتتاحية العدد

فوائد البنوك.. ومخالفة رب العالمين!!

بقلم
د. جمال المراكبي

الربا نظام متغلغل في أعماق النفس البشرية منذ تسلط الشيطان على بني آدم وغير فطرتهم، فزين لهم الإشراك بالله، وزين لهم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ودعاهم إلى أكل الأموال بينهم بالباطل.

وقد تخصص اليهود ـ المغضوب عليهم ـ في أكل أموال الناس بالباطل، وأخذ الربا وقد نهوا عنه فاستحقوا غضب الله ولعنته، وكان من نتيجة ذلك أن قام الاقتصاد العالمي على نظام ربوي، دعامته البنوك الربوية التي يقوم نشاطها على الإقراض والاقتراض، فتتلقى البنوك أموال المودعين بفوائد محددة، ثم تقوم بإقراضها للمستثمرين وغير المستثمرين بفوائد أكبر، وتعتمد في أرباحها على الفارق بين الفائدتين.

وقد انتقد القرآن الكريم طريقة اليهود، وبين أن الله تعالى عاقبهم في الدنيا، فحرم عليهم طيبات أحلت لهم، وتوعدهم بالعذاب الأليم في الآخرة، ونعى على أحبارهم ورهبانهم أنهم ما انكروا عليهم.

فقال سبحانه:

﴿ فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا * وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٠، ١٦١].

وقال تعالى: ﴿ وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * لَوْلاَ يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ [المائدة: ٦٢-٦٣].

……

كيف تعاملت الشريعة الإسلامية مع النظام الربوي؟

رفضت الشريعة الإسلامية نظام الربا منذ الوهلة الأولى، ولكن اقتضت حكمة الله أن تتدرج النصوص الشرعية في تحريم الربا المتغلغل في

نفوس البشر والمهيمن على معاملاتهم، ولهذا نجد في القرآن المكي التنفير من الربا، والحث على الصدقة دون الحديث عن الحل والحرمة.

قال تعالى : ﴿وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون﴾.

ثم نزل القرآن بالنهي عن أكل الربا أضعافًا مضاعفة كما كان معهودًا في الجاهلية، وحث المسلمين على تقوى الله واجتناب محارمه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران:١٣٠].

ثم كان آخر ما نزل من القرآن من تشريع تحريم الربا ودعواهم الفاسدة بأن البيع مثل الربا، وذكر هذه الدعوى الباطلة، ثم دعوة المؤمنين لترك ما بقي من الربا﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٧٥-٢٧٩].

ربا النسيئة وربا الفضل

والربا المنهي عنه في الآيات هو ربا الجاهلية المعهود في زمن نزول التشريع وهو الزيادة على أصل الدين عند حلول الأجل، وذلك أن العرب كانت لا تعرف ربا إلا ذلك فكانت إذا حل دينها قالت للغريم إما أن تقضي وإما أن تربي، وقد حرم المولى تبارك وتعالى هذا الربا بالكلية وقال النبي ﷺ في حجة الوداع «ألا إن ربا الجاهلية موضوع، وأول ربا أضع ربا العباس بن عبد المطلب».

هذا النوع من الربا هو الذي كان معروفًا بين العرب في الجاهلية، وهو الذي يسمى ربا النسيئة، وهو المراد بالربا في القرآن، وقد بينت السنة نوعا آخر من الربا وهو ربا الفضل وهو الذي أشار إليه الرسول ﷺ بقوله: «الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلا بمثل سواء بسواء يدًا بيد، فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يدًا بيد».

فربا النسيئة هو الربا الجلي الذي كانوا يفعلونه في الجاهلية وهو تمامًا ما تفعله البنوك الربوية حيث تقبل أموال المودعين، وتعطيهم في مقابل ذلك فائدة محددة سلفًا وربما تجمع الفوائد أو نسبة منها وتجعلها في صورة جوائز يحصل عليها بعض المودعين دون غيرهم فتجمع بذلك بين الربا والمقامرة.

أما أموال المودعين لدى البنوك فتقوم البنوك بإعادة إقراضها بفائدة أعلى للمستثمرين ولغير المستثمرين، وتحصل هذه البنوك على الفارق بين سعر الفائدة الأول وسعر الفائدة الثاني وتعتبره صافي الأرباح.

والقول بأن البنوك تستثمر أموال المودعين لديها في مشروعات انتاجية قول فيه حق وباطل، لأن البنوك لا تستثمر

بنفسها وإنما بإقراض غيرها من المستثمرين، فتعتبر هذا الإقراض نوعًا من الاستثمار وهو في حقيقته قرض ربوي.

وفتوى مجمع البحوث الإسلامية التي صدرت مؤخرًا وقضت بأن فوائد البنوك حلال شرعًا إنما تأسست على اعتبار أمرين:

الأول: أن البنوك تقوم بدور المضارب الذي يستثمر أموال غيره في مضاربة شرعية.

الثاني: أن أقوال أهل العلم بعدم جواز تحديد قدر معين من المال في المضاربة لا دليل عليه من الكتاب والسنة والأمر في ذلك متروك لرضا الطرفين.

والحقيقة أن هذين الأمرين فاسدان، فالبنوك لا تتاجر بأموال المودعين ولا تستثمرها في مشروعات استثمارية تنشئها وتقوم عليها بنفسها حتى تأخذ حكم المضارب وهو الذي يشارك بجهده وعمله في عقد المضاربة فيتاجر بأموال غيره ويقتسم مع صاحب المال الأرباح الناتجة، وإنما تقوم البنوك بإقراض هذه الأموال لغيرها بفائدة محددة سلفًا، وإذا كانت البنوك تستثمر أحيانا بنفسها فإن نسبة هذا الاستثمار لا تساوي شيئًا بجوار ما تقوم البنوك بإقراضه للغير، والمستثمر الذي يتعامل مع البنك يطلب قرضًا بفائدة، ويعطيه البنك هذا القرض بفائدة محددة ولا يستطيع أحد أن يقول إن البنك يشارك المستثمر في مشروعه، وإنما البنك يقرضه فقط، وحكاية المستثمرين المتعسرين والذين أخذوا القروض العظيمة وهربوا بها أبلغ دليل على ذلك.

فالبنوك لا تضارب بأموال المودعين بنفسها، ولا تشارك غيرها من المستثمرين في مضاربات مشروعة، وإنما تقترض أموال المودعين بفائدة بسيطة محدودة، وتعيد إقراضها للغير بفائدة كبيرة - أكبر.

والأمر الثاني الذي تأسست عليه فتوى المجمع وهو جواز تحديد قدر معين من المال لصاحب المال كربح يتفق عليه بين صاحب المال وبين المضارب، وأنه لا يوجد نص في الكتاب والسنة يمنع من ذلك، وأن اجتهادات السابقين لا تلزم في هذا الشأن وهذا فاسد أيضا، فالنبي ﷺ نهى عن مثل هذا التحديد في عقود المزارعة كما في الحديث الذي أخرجه البخاري عن رافع بن خديج رضي الله عنه قال: كنا أكثر أهل المدينة حقلا، وكان أحدنا يكري أرضه فيقول: هذه القطعة لي، وهذه لك، فربما أخرجت ذه - هذه - ولم تخرج ذه فنهاهم النبي ﷺ.

(البخاري ك المزارعة ب ما يكره من الشروط في المزاعة ح٢٣٣٢).

وفي رواية يقول رافع: لقد نهانا رسول الله ﷺ عن أمر كان بنا رافقا.

دعاني رسول الله ﷺ فقال: «ما تصنعون بمحاقلكم - أي بحقولكم -؟» قلت نؤاجرها علي الربيع - جدول الماء - وعلى الأوسق من التمر والشعير.

قال: «لا تفعلوا ازرعوها أو أزرعوها أو أمسكوها» قال رافع: سمعًا وطاعة.

ومن هذا الحديث أخذ الفقهاء عدم جواز تحديد قطعة من الأرض يأخذ صاحب الأرض ريعها، وكذلك عدم تحديد شيء من الزرع يأخذه، بل يأخذ نسبة من عموم ما تخرجه الأرض وهذا هو ما اشترطوه في المضاربة الشرعية، وخالفته صراحةً فتوى مجمع البحوث الأخيرة.

●● باب التفسير ●●

سورة الصف

الحلقة الأولى

بقلم: د. عبد العظيم

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ (٣) إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ (٤) وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٥) وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ (٦) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الإِسْلاَمِ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الصف: ١- ٧].

بين يدي السورة

سورة مدنية، شأنها شأن السور المدنية في الاهتمام بجانب التشريع والأحكام، وقد تحدثت هذه السورةُ الكريمةُ عن القتال في سبيل الله، وبيّنتْ أنه أحبَّ الأعمال إلى الله، وأنكرتْ على الذين يقولون ما لا يفعلون، وذكرت موقفَ بني إسرائيل من أنبيائهم، وخصّتْ بالذكر موسى وعيسى ابن مريم عليهم السلام، كما ضربت المثلَ لأعداء الله في محاولتهم القضاءَ على دين الله، بالذي يريدُ أن يُطْفئَ نورَ الشمس بفيه، وما هو بمطفئه، وكذلك أعداء الله ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾، ثم أرشد الله سبحانه عباده المؤمنين إلى نوع من التجارة خاص، ربْحُهُ النجاة من النار، وبضَاعَتُه ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾. وختمت السورة بأمر المؤمنين أن يـ ﴿كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾.

تفسير الآيات

قد سبق الكلام على تسبيح ما في السماوات والأرض بحمد الله، كما سبق بيان معنى كونه سبحانه العزيز

الحكيم، أما قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ (٣) إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾، فقد جاء في سبب نزولها عن عبد الله بن سلام قال: قعدنا نفرٌ من أصحاب رسول الله ﷺ، فتذاكرْنا فقلنا: لو نعلم أيَّ الأعمال أحبُّ إلى الله تعالى لعملناها، فأنزل الله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ حتى خَتمها، فقرأها علينا رسول الله ﷺ حتى ختمها. [صحيح. رواه الترمذي (٥/٨٥/٣٣٦٣)].

لقد كان المؤمنون في مكّة قلّةً مستضعفةً، وكان المشركون لا يألون جهدًا في إيذائهم، وكانت هذه القلة المستضعفةُ تريد القتال للدفاع عن نفسها، إلا أنه لم يُؤْذَنْ لها، لأنها ما زالت ضعيفةً غيرَ قادرةٍ على مواجهة العدوّ، وتحمّل أعباء القتال، وأُمرتْ هذه القلةُ بإعداد أنفسها الإعدادَ الإيمانيّ بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، ولكنها كَفّتْ عن القتال على مضض، وظلّت تتطلع إلى القتال، حتى بعد الهجرة سألوا: أيّ الأعمال أحبّ إلى الله، فأخبرهم الله أن القتال في سبيله أحبّ الأعمال إليه، ثم قال لهم بعد ذلك: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ﴾، فثقل عليهم الأمر، ونكل عنه بعضهم، فعاتبهم الله تعالى في موضعين، هنا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ﴾، وفي سورة النساء قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلاَ أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلاَ تُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾ [النساء: ٧٧]. ولكن إذا كانت الآياتُ الأولى من السورة نزلت عتابًا للمؤمنين على قولهم ما لا يفعلون في أمرٍ ما، إلا أنّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فهي إذن عتابٌ ولومٌ لكلّ من خالف قولُه فِعْلَه، فالواجب على المؤمن أن يوافق ظاهرُه باطنَه، وسرُّه علانيتَه، وأن توافق أقوالُه أفعالَه، أما أن يقول ولا يفعل، فذلك أمر ممقوت ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ﴾، وقد أنكر الله على هؤلاء في موضع آخر فقال: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤]، وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «يُؤْتَى بالرجل يومَ القيامة فيُلْقَى في النّار فتندلقُ أقتابُ بطنِه فيدورُ حولَها كما يدور الحمارُ في الرحى، فيأتيه الناسُ فيقولون: يا فلان، ما لك؟ ألم تكن تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ فيقول: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه». [متفق عليه].

ويدخل في هذا الوعيد الرجل الذي ينقض عهده، ولا يفي بوعده، قال ﷺ: «أربعٌ من كنّ فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خصلةٌ منهن كانت فيه خصلةٌ من النفاق حتى يدعها: إذا اؤتمن خان، وإذا حدّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر». [متفق عليه].

وعن عبد الله بن عامر قال: أتانا رسولُ الله ﷺ وأنا صبيّ، فذهبتُ لأخرجَ لألْعَبَ، فقالت أُمي: يا عبد الله تعالَ أُعْطِكَ، فقال لها رسولُ الله ﷺ: «وما أردتِ أن تعطيه؟» قالت: أردتُ أنْ أُعطيَه تمرًا. فقال: «أما إنكِ لو لم تفعلي كُتِبَتْ عليك كذبة». [حسن. رواه أبو داود (١٣/٣٣٥/٤٩٧٠)].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ اختلف أهل التأويل في المراد من قوله تعالى: ﴿صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ هل المراد أن يقوم المقاتلون صفًا واحدًا متماسكًا تماسك اللبنات في البنيان؟ أم ذلك كنايةٌ عن اجتماعهم وتآلفهم؟ فقالوا: إن صور القتال تختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة، فإذا كان القيام صفًا واحدًا صالحًا للقتال فهو المطلوب، وهذا هو الذي فعله النبي ﷺ يوم بدر، صفّهم صفًا واحدًا، وسوّاهم

كما كان يسوّيهم للصلاة، وأما إذا دعت طبيعةُ القتال إلى التفرق وانقسام المقاتلين إلى مجموعات فهذا أَوْلَى، ويكون المراد أنّهم في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم كالبنيان المرصوص، وإن انقسموا مجموعات.

ثم ذكر الله تعالى موقف بني إسرائيل من أنبيائهم، فقال: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ تقدير الكلام: واذكرْ يا نبينا إذ قال موسى لقومه، لتعلم أنه ﴿قَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ٣٤]، ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلاَ تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، ﴿يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾، ﴿أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ﴾ [يس: ١٩]، ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: ٦]، وهل هناك إحسانٌ بعد إحسان الله أفضلُ وأعظمُ من إحسان الأنبياء لأممهم؟ إنّ الأنبياءَ بهم أخرج اللهُ الناس من الظلمات إلى النور، ومن الضلال إلى الهدى، ومن الغيّ إلى الرشاد، فالواجب ألا يكذبوا وألا يُؤْذَوا، بل يقابلُوا بالتصديق والاتباع والإحسان والشكر والعرفان، ولكنّ بني إسرائيل لم يقدّروا أنبياءهم حق قدرهم، فكذبوا فريقًا، وفريقًا قتلوا. وممن كذّبوا وآذوا موسى عليه السلام، وإيذاءُ بني إسرائيل لموسى إيذاءٌ متطاول متعدّد الألوان، وقد ذكر القرآن الكريم في قصص بني إسرائيل صورًا شتى من ذلك الإيذاء، ومن ذلك الإيذاء ما رواه البخاري من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ موسى كان رجلاً حييًا ستّيرًا، لا يُرى من جلده شيءُ استحياءً منه، فآذاه مَنْ آذاه من بني إسرائيل، فقالوا: ما يستترُ هذا التسترُ إلا من عَيْب بجلده: إمّا برصٌ، وإما أدرة، وإما آفة، وإن الله أراد أن يبرئه مما قالوا، فخلا يومًا وحده، فوضع ثيابه على الحجر، ثم اغتسل، فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها، وإنّ الحجر عدا بثوبه، فأخذ موسى عصاه عريانًا أحسن ما خَلَق اللهُ وأبرأه مما يقولون، وقام الحجر، فأخذ ثوبه فلبسه وطفق بالحجر ضربًا بعصاه، فوالله إنّ بالحجر لَنُدَبًا من أثر ضربه ثلاثًا أو أربعًا أو خمسًا».

ولقد استفاد النبي ﷺ من ذكر الله له نبأ موسى وإيذاءَ بني إسرائيل، فكان ﷺ إذا أوذي يقول: «يرحم الله موسى، قد أُوذي بأكثر من هذا فصبر». [متفق عليه].

ولقد نهى الله تعالى المؤمنين أن يؤذوا رسول الله ﷺ كما آذت بنو إسرائيل موسى، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ [الأحزاب: ٦٩].

ولقد بذل موسى عليه السلام جهدًا كبيرًا في هداية بني إسرائيل وتقويم اعوجاجهم، وكانت النهاية أنهم زاغوا بعدما بُذلت لهم كلّ أسباب الاستقامة، ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾، ﴿جَزَاءً وِفَاقًا﴾ [النبأ: ٢٦]، ﴿وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]، وإنما عاقبهم الله على زيغهم فأزاغ قلوبهم، كما قال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام: ١١٠]، وكما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]، والآيات في هذا المعنى كثيرة، والمقصود أن الهداية أنواع، وأهمها هداية البيان والإرشاد، وهداية التوفيق، فأما الأولى فهي إلى الأنبياء وأتباعهم من المصلحين، وأما الثانية فهي إلى الله وحده، قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]، فهذه هداية البيان والإرشاد، وهي التي قال الله فيها: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣]، وقال: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢]، وقال: ﴿إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ

يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦]، وهذه هداية التوفيق إلى صراط الله المستقيم، وهذه الهداية الثانية مترتبة على قبول الهداية الأولى، فمن أجاب المرسلين واتبع سبيلهم هداه الله إلى صراط مستقيم: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [فصلت: ١٧]، وقال تعالى عن قوم موسى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا﴾ أي عدلوا عن اتباع الحق مع علمهم به ﴿أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ ثم قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ فصرح هنا أنه رسول الله، كما صرح عند ولادته أنه عبد الله، ولم يقل قط: إنه الله، ولا إنه ابن الله، ولا إنه أقنوم من أقانيم الله، وقوله: ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ﴾ التي جاء بها موسى، ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾، وأحمد كمحمد من أسماء النبي ﷺ، قال ﷺ: «إن لي خمسة أسماءً: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله به الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب». [متفق عليه].

وليس عيسى وحده هو الذي بشّر بمحمد ﷺ، وإنما الأنبياء جميعًا قد بشّروا به ﷺ، وأخذ الله عليهم العهد إذا بُعث وهم أحياء أن يؤمنوا به ويتبعوه، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١]، وقد أخبرنا الله سبحانه أن أهل الكتاب يعرفون النبي ﷺ كما يعرفون أبناءهم، وذلك من كثرة نعوته ﷺ في الكتب التي بأيديهم، قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (١٥٦) الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٦-١٥٧]، بل إن أمة محمد معروفة أيضًا عند أهل الكتاب لما نعتها اللهُ به في التوراة والإنجيل، قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩].

ولهذا كله هاجر نفرٌ من علماء بني إسرائيل إلى يثرب قبل بعثة النبي ﷺ، انتظارًا لبعثته، وكانوا إذا حدث بينهم وبين الأوس والخزرج شيءٌ يستفتحون عليهم برسول الله ﷺ يقولون: إنه سيُبعث نبي في آخر الزمان نقتلكم معه قتل عاد وإرم، ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ [البقرة: ٨٩] لأنهم كانوا يرجون أن يكون من بني إسرائيل، فلما كان من بني إسماعيل كفروا به ﴿حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ [البقرة: ٩٠]، و﴿بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [البقرة: ٩٠]، ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ﴾ أي: أحمد المبشّر به ﴿بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾، ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ٧]، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ﴾ أي: لا أحد أظلم ممن يفتري الكذب على الله، ويجعل له أندادًا وشركاء، وهو يُدْعى إلى التوحيد والإخلاص، ومثل هذا لا يهديه الله أبدًا؛ لأن ﴿اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

آكل الربا وموكله

إعداد / زكريا حسيني محمد

أخرج الإمام مسلم فى صحيحه عن جابر رضي الله عنه قال : «لعن رسول الله ﷺ آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه، وقال: هم سواء» (٤٠٩٣).

ولأصحاب السنن وصححه ابن خزيمة من طريق عبدالرحمن بن عبدالله بن مسعود عن أبيه: «لعن رسول الله ﷺ آكل الربا وموكله وشاهده وكاتبه. وفى رواية الترمذى وشاهديه بالتثنية، وفى رواية النسائى من وجه آخر عن ابن مسعود: «آكل الربا وموكله وشاهده وكاتبه ملعونون على لسان محمد ﷺ».

تعريف الربا

الربا فى اللغة : اسم مقصور على الأشهر، وهو من ربا يربو رَبْوا ورُبُوًا وَرِبَاءً. ويقال الربا والرما والرماء.

والأصل فى معناه الزيادة، يقال: ربا الشيء إذا زاد ، ومن ذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾ [البقرة:٢٧٦].

والربا فى اصطلاح الفقهاء: نوعان، ربا النسيئة: وهو الزيادة المشروطة التي يأخذها الدائن من المدين نظير التأجيل.

وربا الفضل، وهو بيع النقود بالنقود أو الطعام بالطعام مع الزيادة.

حكم الربا

أما ربا النسيئة فهو محرم بالكتاب والسنة والإجماع قال الله تعالى: «وأحل الله البيع وحرم الربا».

وعن أبى جحيفة قال: «إن رسول الله ﷺ نهى عن ثمن الدم وثمن الكلب، وكسب الأمة ولعن الواشمة والمستوشمة وآكل الربا وموكله، ولعن المصور» أخرجه البخاري برقم (٢٢٣٨) وأجمع الأئمة الفقهاء على تحريمه.

وأما ربا الفضل فهو محرم بالسنة والإجماع أيضا، فعن أبى سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والملح بالملح مثلا بمثل، يداً بيد، فمن زاد أو استزاد فقد أربى، الآخذ والمعطى سواء» أخرجه البخاري وأحمد. ونقل النووي عن ابن المنذر أنه قال: أجمع علماء الأمصار: مالك بن أنس ومن تبعه من أهل المدينة، وسفيان الثوري ومن وافقه من أهل العراق، والأوزاعي ومن قال بقوله من أهل الشام، والليث بن سعد ومن وافقه من أهل مصر، والشافعي وأصحابه، وأحمد وإسحاق وأبو ثور وأبو حنيفة وأبو يوسف: أنه لايجوز بيع ذهب بذهب ولافضة بفضة ولابر ببر ولاشعير بشعير، ولاتمر بتمر ولا ملح بملح متفاضلا يدا بيدا، ولانسيئة، وأن من فعل ذلك فقد أربى والبيع مفسوخ، قال وقد روينا هذا القول عن جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ وجماعة يكثر عددهم من التابعين. (المجموع ١٠/٤٠-٤١).

الأوراق النقدية حكمها حكم الذهب والفضة

قال الشيخ صالح الفوزان: والصحيح أن العلة فى النقدين الذهب والفضة الثمنية فيقاس عليهما كل ماجعل أثماناً كالأوراق النقدية المستعملة فى هذه الأزمان، فيحرم فيها التفاضل، إذا بيع بعضها ببعض مع اتحاد الجنس، بأن تكون صادرة من دولة واحدة.

وقال: والصحيح أن العلة فى بقية الأصناف الستة البر والشعير والتمر والملح هى الكيل والوزن، مع كونها مطعومة، فيتعدى

الحكم إلى ماشاركها فى تلك العلة مما يكال أو يوزن وهو مما يطعم فيحرم فيه التفاضل.

وقال : فعلى هذا؛ كل ما شارك هذه الأشياء الستة المنصوص عليها فى تحقيق هذه العلة فيه؛ بأن يكون مكيلا مطعوما أو موزونا مطعوما أو تحققت فيه علة الثمنية؛ بأن كان من النقود فإنه يدخله الربا؛ فإن انضاف إلى العلة اتحاد الجنس كبيع بر ببر مثلا حرم فيه التفاضل والتأجيل لقوله ﷺ: «الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر، والملح بالملح مثلا بمثل يداً بيد» رواه مسلم وأحمد والترمذى وابن حبان وإن اتحدت العلة مع اختلاف الجنس؛ كالبر بالشعير، حرم فيه التأجيل وجاز فيه التفاضل، لقوله ﷺ: «فإذا اختلفت هذه الأشياء فبيعوا كيف شئتم إذا كان يداً بيذ» رواه مسلم وأبو داود. ومعنى قوله «يدًا بيد» أي حالا مقبوضا فى المجلس قبل افتراق أحدهما عن الآخر، وإن اختلفت العلة والجنس جاز الأمران التفاضل والتأجيل، كالذهب بالبر، والفضة بالشعير: (الملخص الفقهى حـ٢ صـ ٣١- ٣٢).

خطر الربا على الفرد والمجتمع

ثم اعلم أن خطر الربا عظيم، وأمره ليس بالهين بل هو جسيم، والتحرز منه يعسر على من لا يعرف أحكامه، ومن لم يستطع معرفة أحكام الربا بنفسه فعليه أن يسأل أهل العلم عنها، ولا يجوز له أن يقدم على معاملة إلا بعد تأكده من خلوها من الربا ليسلم بذلك دينه وينجو من عذاب الله تعالى الذى توعد به المرابين، ولا يجوز تقليد أحد من الناس من غير بصيرة، لا سيما فى وقتنا هذا الذى كثر فيه عدم المبالاة بنوعية المكاسب، فقد أخبر النبى ﷺ فيما صح عنه من حديث أبى هريرة رضي الله عنه قال: «ليأتين علَى الناس زمان لا يبالي المرء بما أخذ المال أَمِنَ الحلال أم من حرام» أخرجه البخاري (٤٨٣) ولقد عده رسول الله ﷺ من السبع الموبقات، أي المهلكات، قال ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات، قيل وما هن يارسول الله؟ قال: الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات» (٢٠٨٣).

وجوب تعلم أحكام البيوع قبل العمل فى التجارة

جاء في الموسوعة الفقهية جـ٢٢ جـ٥٣ .

ويجب على من يقرض أو يقترض أو يبيع أو يشتري أن يبدأ بتعلم أحكام هذه المعاملات قبل أن يباشرها، حتى تكون صحيحة وبعيدة عن الشبهات والحرام، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، وتركه إثم وخطيئة، وهو إن لم يتعلم هذه الأحكام قد يقع فى الربا دون أن يقصد الإرباء، بل قد يخوض فى الربا وهو يجهل أنه تردى فى الحرام وسقط فى النار، وجهله لا يعفيه من الإثم ولا ينجيه من النار، لأن الجهل والقصد ليسا من شروط ترتب الجزاء على الربا، فالربا بمجرد فعله - من المكلف - موجب للعذاب العظيم الذى توعد الله جل جلاله به المرابين. يقول القرطبي رحمه الله: لو لم يكن الربا إلا على من قصده ما حرم إلا على الفقهاء. وقد أثر عن السلف أنهم كانوا يحذرون من الاتجار قبل تعلم ما يصون المعاملات التجارية من التخبط فى الربا، ومن ذلك قول عمر رضي الله عنه: «لا يتجر فى سوقنا إلا من فقه، وإلا أكل الربا»، وقول عليّ: «من اتجر قبل أن يتفقه ارتطم فى الربا ثم ارتطم ثم ارتطم» أي وقع فى الربا وارتبك ونشب، (نقلا عن تفسير الطبري ٣٨/٦، وتفسير القرطبي ٣٥٢/٣، وتفسير ابن كثير (٥٨١/١)، ومغني المحتاج ٢٢/٢، ٢٩/٦.)

جـزاء آكل الربا

قال السرخسي في المبسوط:

ذكر الله تعالى لآكل الربا خمسا من العقوبات:

إحداها: التخبط، قال الله تعالى: ﴿ لاَ

يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ [البقرة:٢٧٥].

الثانية: المحق. قال تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا....﴾ [البقرة:٢٧٦] والمراد الهلاك والاستئصال. وقيل: ذهاب البركة والاستمتاع، حتى لا ينتفع به ولا ولده من بعده.

الثالثة: الحرب:: قال تعالى: ﴿فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [البقرة:٢٧٩].

الرابعة: الكفر: قال تعالى: ﴿وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة:٢٧٨].

وقال سبحانه بعد ذكر الربا ﴿والله لا يحب كل كفار أثيم﴾ [البقرة:٢٧٦] أي كفار باستحلال الربا، أثيم فاجر بأكل الربا.

الخامسة: الخلود في النار: قال تعالى: ﴿وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة:٢٧٥] (المبسوط ١١٠/١٠٩/١٢).

من أسباب عدم إجابة الدعاء

وبعد أخي المسلم إن النصوص في تحريم الربا بنوعيه كثيرة جدا سواء من كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ، ولا يتسع المقام لحصرها، وهي واضحة لكل ذي عينين، ولكل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، وكذلك أجمعت الأمة على تحريم الربا وحذر النبي ﷺ من آخر الزمان وما يحدث فيه من الفتن ومن ضياع الدين وعدم المبالاة بالمال، وأنت تعلم أن من أسباب إجابة الدعاء طيب المطعم، فإن كانت مطاعمنا من الحرام ومشاربنا من الحرام وملابسنا من الحرام ومراكبنا من الحرام ومساكننا من الحرام بسبب ما نتعاطى من الربا. فهل يستجيب الله لنا دعاء أو يقبل منا عملا؟ أو يبارك لنا في أرزاقنا؟ نسأل الله التوبة والمغفرة.

حقيقة قروض البنوك

وخلاصة القول في الربا «أن كل قرض اشترطت فيه الزيادة سواء حددت قيمة الزيادة أم لم تحدد سلفا فهو ربا» فوضح بذلك أن القروض التى يتعاطاها الناس من البنوك أو غيرها تعتبر ربا محرما شرعا، يستوي في ذلك قروض الإنتاج وقروض الاستهلاك فيجب على المسلم أن ينأى بنفسه عن مثل هذه القروض فرارا بدينه وحفاظا على نفسه وبعداً عن العقوبات التى رتبها الله عزَّ وجَلَّ وتوعد بها آكل الربا.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ * وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٧٨ - ٢٨١]. قال ابن عباس رضي الله عنهما أن هذه الآيات هي آخر ما نزل من القرآن الكريم، أي أنه لم ينسخها شيء جاء بعدها.

كما قال تعالى قبل هذه الآيات من نفس السورة: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة:٢٧٥] فمن سوى بين البيع الذى هو حلال، والربا الذي هو حرام فهذا جزاؤه؛ التخبط كالذي أصابه مس من الشيطان، وجزاؤه كذلك النار خالدا مخلدا فيها.

ثم اعلم أن الأحاديث ومنها حديثنا هذا، تبين أن المعطي والآخذ ومن كتب الربا ومن شهد عليه كلهم ملعونون على لسان رسول الله ﷺ نسأل الله تعالى أن يرزقنا الحلال الطيب ويبارك لنا فيه، وأن يباعد بيننا وبين الحرام ويغنينا عنه. إنه جواد كريم. وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

مؤتمر المسلمين ومخالفات الحجيج!!

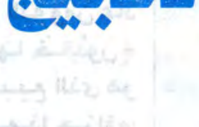

رئيس التحرير

جمال سعد حاتم

الحمد لله الذى رتَّب على حج بيته الحرام كل خير جزيل، وجعل قصده من أجل القربات الموصلة إلى ظله الظليل، ويَسَّر أسبابه وهوّن الوصول إليه والسبيل، وسهّله بلطفه وكرمه غاية التسهيل، وبعد:

ما هي إلا أيام قلائل ويهل علينا مؤتمر عظيم، وإن شئت فقل مؤتمر المسلمين الوحيد بعد أن انفضت المؤتمرات، وتقطعت السبل والأوصال بين المسلمين، وأصبحوا قابعين كل في دياره ينتظر نصيبه الذي ارتضاه له المتآمرون على الإسلام وأهله.. من المؤامرات والكيد والفتن.. ولاحول ولا قوة إلاّ بالله.. مؤتمر الحجيج الذي يأتي إليه المسلمون من كل فج عميق. قال تعالى: ﴿وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق﴾ وقال ﷺ: «من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أُمُّه» وقال: «والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»، وقال: «وتابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والفضة»، والحجاج والعمار وفد الله إن سألوه أعطاهم، وأن دعوه أجابهم، وإن ستغفروه غفر لهم.

« خذوا عني مناسككم »

ولما كان الحج إلى بيت الله الحرام ركناً من أركان الإسلام الخمسة على القادر والمستطيع، بينه ﷺ بيانًا شافيًا بقوله وفعله وتقريره، وكان الصحابة رضي الله تعالى عنهم يرقبون نبيهم ﷺ ليقتدوا به اتباعًا لقوله: «خذوا عني مناسككم». [أخرجه مسلم]، ونقلوا إلينا ذلك أتم نقل وأكمل بيان، ومع هذا البيان والإيضاح، جنح بعض الناس إلى مخالفة الهدي النبوي، إما بتفريط فى فضيلة أو بوقوع في بدعة ومعصية، ولبيان شيء

من تلك المخالفات، التي يقع فيها كثير من الحجاج والمعتمرين نوجز منها ما يأتي:

مخالفات تقع في الإحرام

●● اعتقاد بعض الناس أنه لابد من صلاة ركعتين بعد إحرامه، بل إن بعض الناس يعود بعد ذهابه عن الميقات ليصلي الركعتين، فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ليس للإحرام صلاة تخصه».

وقال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: (وركعتا الإحرام سنة عند الجمهور، وبعض أهل العلم لا يستحبها؛ لأنه لم يرد فيها شيء مخصوص، والجمهور استحبوها؛ لما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال وهو في ذي الحليفة «أتاني آت من ربي فقال: صلِّ في هذا الوادي المبارك وقل: عمرة في حجة»). أ.هـ

والمهم في سنة الإحرام أنها غير واجبة.

●● بعض الناس قد يسافر جوًا إلى الحج فيتهاون في الإحرام عند مروره بالميقات؛ بل وبعضهم يؤخر الإحرام إلى أن ينزل أرض المطار، وكلاهما على خطأ!!

●● ومن المخالفات أيضًا: ما يعتقده بعض النساء من أنه لابد له من لون خاص للثوب الذي تلبسه المرأة في الإحرام كالأخضر مثلاً أو الأبيض وهذا خطأ. فتحرم المرأة بثيابها العادية إلاَّ ثياب الزينة أو الثياب الضيقة أو الشفافة..!!

●● ومن المخالفات المتعلقة بالنساء. أن بعض النساء إذا مرت بالميقات تريد الحج أو العمرة وأصابها الحيض، قد لا تحرم ظنًا منها أو من وليها أن الإحرام تشترط له الطهارة من الحيض، فتتجاوز الميقات بدون إحرام وهذا خطأ واضح؛ لأن الحيض لا يمنع الإحرام، فالحائض تحرم وتفعل مايفعل الحاج غير الطواف فإنها تؤخره إلى أن تطهر.

●● ومن المخالفات أيضًا قيام بعض الحجاج والمعتمرين عند الميقات وغيره بتصوير بعضهم بعضًا في لباس الإحرام ويحتفظون بتلك الصور للذكرى، وكما قال بعض أهل العلم إنه خطأ من ناحيتين:

الأولى: أن التصوير في حد ذاته معصية، إلاَّ إذا كان لحاجة.

الثانية: أن هذا يدخل في الرياء، لأن الحاج إذا أحب أن يطلع الناس عليه وعلى صورته وهو محرم فإن هذا رياء. والرياء يحبط العمل.

من مخالفات الحجيج في الطواف!!

أما المخالفات في الطواف فكثيرة نذكر منها:

●● المقاتلة على تقبيل الحجر الأسود، واستعمال الشد والضرب في سبيل الوصول إليه، والفاعل لهذا قد ارتكب محرمًا، في سبيل تحقيق سنة يثاب فاعلها ولا يعاقب تاركها.

●● إذا سلَّم الإمام من الصلاة يلاحظ أن بعض المصلين حول الحجر الأسود يسابقون الإمام في سلامه بغية تقبيل الحجر واستلامه. ومن المعلوم عدم جواز مسابقة الإمام!!

●● التمسُّح بجدران الكعبة، والنحيب بصوت عال!

●● رفع الصوت بالدعاء وإزعاج الطائفين والمصلين!!

●● تعمد صلاة ركعتي الطواف خلف المقام وهذا من السنَّة، لكن ليس المراد أن يصليها في أثناء شدة الزحام فيدفع هذا ويجذب هذا!!

●● بعض الطائفين يبتدئون طوافهم قبل الحجر الأسود، أي بينه وبين الركن اليماني، وهذا يدخل في الغلو في الدين، وما يدعيه بعض الحجاج أنه يفعل ذلك احتياطًا!!

●● ومن الخطأ أيضًا أن بعض الناس إذا حاذى الحجر الأسود أثناء طوافه فإنه يقف برهة من الزمن يدعو ويشير عندما يريد أن يبدأ شوطا جديدًا فيسبب عرقلة للطائفين!!

من مخالفات السعي بين الصفا والمروة!!

●● الاضطباع في أثناء السعي، والسنة المذكورة عن النبي ﷺ أنه لم يضطبع إلاّ في طوافه حول البيت في طواف القدوم فقط!!

●● بعض الساعين يترك الإسراع بين العلمين الأخضرين ولو تمكن من ذلك. وبعضهم يسرع فيهما إلا أنه يستمر مسرعًا ويتجاوز الحد المشروع وهو الانتهاء من الهرولة عند العلم الثاني!!

●● ومن مخالفات السعي أن بعضهم لا يعتقد أن سعيه صحيح إلاّ إذا صعد إلى آخر الجبل في الصفا والمروة ظنًا منه أن ذلك أفضل!!

من مخالفات الحلق والتقصير!!

●● بعض الناس عندما يحلق أو يقصر شعره يُتْبع ذلك بحلق لحيته أو تقصيرها، وهذا حرام في الحج وغيره لقوله ﷺ: «أكرموا اللحى». وقوله ﷺ: «أرخوا اللحى».

●● بعض المقصرين يقصر شعيرات من مقدّم رأسه، ومن آخر رأسه، وعن يمينه وعن شماله وهذا في الحقيقة لا يصدق عليه اسم التقصير بل يجب التعميم!!

●● ومن المخالفات ما يشاهد من بعض الحجاج من حلق جزء من رأسه بعد فراغه من عمرته ويبقي الجزء الآخر إلى الحج!!

من مخالفات الحجاج في عرفة!!

●● بعض الحجاج ينزلون خارج حدود عرفة، ويبقون في أماكنهم حتى تغرب الشمس، ثم ينصرفون منها إلى مزدلفة من غير أن يقفوا بعرفة، وهذا خطأ عظيم، يفوت به الحج فإن الوقوف بعرفة رُكن لا يصح الحج إلاّ به. لقول النبي ﷺ: «الحج عرفة».

●● ومن ذلك أيضًا: أن بعض الحجاج يعتقد أنه لابد في الوقوف بعرفة من رؤية الجبل، أو الذهاب إليه والصعود عليه فيكلفون أنفسهم عَنتًا شديدًا ومشقة، ويتعرضون لأخطار عظيمة؛ وعرفة كلها موقف.

●● ومن الأخطاء أيضًا أن بعض الحجاج يهتم باستقبال الجبل حال الدعاء وهو خلاف السنَّة، فإن السنَّة أن يستقبل الكعبة والأفضل أن يكون الجبل بينه وبين القبلة!!

●● انصراف الناس من عرفة قبل غروب الشمس، وهذا خلاف سنة النبي ﷺ، حيث وقف إلى أن غربت الشمس وغاب قرصها!!

من المخالفات في مزدلفة!!

●● عدم التأكد من حدود مزدلفة حال الوصول إليها فقد يبيت بعضهم خارجها، وهذا تفريط منه، ومخالفة للسُّنَّة.

●● ومن المخالفات أيضًا أن بعض الحجاج يخرج قبل نصف الليل إن كان من أهل الأعذار، وهذا مخالفة للسنة

●● ومنها خروج بعض الحجاج مع الضَّعَفَة بعد منتصف الليل معللين خروجهم بأنهم من رفقتهم بل يجب عليهم أن ينتظروا حتى يصلوا الفجر ثم يسفروا جدًا، ثم ينزلوا إلى منى أو مكة!!

●● ومنها أيضًا اعتقاد بعض الحجاج أنه لابد من أخذ الجمرات من مزدلفة فيتعبون أنفسهم في التقاطها بالليل واستصحابها في أيام منى.

من مخالفات رمي الجمار!!

●● من المخالفات الرمي قبل الفجر يوم العاشر من ذي الحجة، وقبل الزوال يومي الحادي عشر والثاني عشر للمتعجل، ومعهما الثالث عشر لمن تأخر.

●● اعتقاد بعض الحجاج أنهم برميهم الجمار يرمون الشياطين، ولهذا يطلقون اسم الشياطين على الجمار، فيقولون رمينا الشيطان الكبير أو الصغير ونحو ذلك من العبارات التى لا تليق بهذه المشاعر.

●● وكذلك أن بعض الحجاج يرمون الجمار بشدة وعنف وصُراخ وشتم لهذه الشياطين. والسنة أن يُكَبِّر الحاج مع كل حصاة يرميها!!

●● ومن المخالفات رمي الجمار بحصى كبيرة وبالنعال والأخشاب، وهذا خطأ كبير، ومخالفة للسنة.

●● ومنها أيضًا أن بعضهم يرمي الجمار كُلَّها دفعة واحدة، وهذا خطأ فادح وقد قال أهل العلم: إنه إذا رمى بكف واحدة أكثر من حصاة لم يحتسب له إلاّ حصاة واحدة.

●● وكذلك أن بعض الحجاج يردد دعوات عند رمي كل حصاة، فمن ذلك قولهم: اللهم اجعلها رضًا للرحمن غضبًا للشيطان، والسنة أن يكبر مع كل حصاة، ويدعو بعد الفراغ من الجمرتين الأوليين.

●● ومنها طواف بعض الحجاج طواف الوداع قبل فراغه من رمي الجمار، وهذا خلاف أمر النبى ﷺ.

من المخالفات في ذبح الهدي!!

●● كثير من الحجاج لا يهتم بالبحث عن عيوب الأضاحي، فتراه يشتري أول ما يقابله إذا كان رخيص الثمن، بغية الراحة من المشقة!!

●● تفريط بعض الحجاج في السن المجزئ للهدي، فقد يهدي شيئًا لم يستكمل السن الشرعي فيقع في الحرج، فالإبل لابد لها من تمام خمس سنين، والبقر سنتين، والغنم إذا كان من الماعز فَسَنَةً واحدة، وإذا كان من الضأن فستة أشهر.

اللهم إنا نسألك البصيرة في الأمور كلها. اللهم وفق الحجاج ويسر لهم أمورهم، اللهم اجعل سعيهم مشكورًا، وحجهم مبرورًا، ومؤتمرهم الإسلامي موفقًا وميسورًا وارحم اللهم الأحياء ومن في القبور.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

باب: منبر الحرمين

الأمة.. الأمل والعمل

لإمام الحرم المكي

فضيلة الشيخ الدكتور/ صالح بن حميد، حفظه الله.

الحمد لله أرشد وهدى. ووفق من شاء من عباده طريق الهدى، ومن أضل فلن تجد له وليا مرشدا. أحمده سبحانه وأشكره لا تحصى آلاؤه عددا، ولا تنقطع فضائله مددا، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا أشرك به أحدا. وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبد الله ورسوله كَرُمَ رسولا وشَرُفَ محتدًا. صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله أنوار الدجى وأصحابه مصابيح الهدى والتابعين ومن تبعهم بإحسان صلاةً وسلامًا وبركاتٍ دائمات سرمدًا.

أما بعد فأوصيكم أيها الناس ونفسي بتقوى الله عز وجل فاتقوا الله رحمكم الله واحذروا ضياع العمر في غير طاعة، وخافوا من التسويف فالتسويف بئست البضاعة، فكم من مؤجل لم يبلغ ما أمله، وحيل بينه وبين ما كان يرجو عمله. دارت عليه رحى المنون كم نُصح وهو معرض بات على تفريطه نادما يتمنى الرجوع فلا يقدر، قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت ، كلا إنها كلمة هو قائها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون.

اقرأوا وتأملوا في أحوال الأمة مع مخالفيها: ﴿إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (١٣٧) هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٨) وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَلاَ تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لاَ يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

أيها المسلمون: إن الأمة تمر في حالها الراهن بأوضاع من الضعف والتشتت وظلام الطريق. بينما يمر الأخرون بموجات من الاستعلاء والقوة ونزعات التفرد.

إن كل ذلك على ظلامه وبأسائه يشير إلى أفق مضيء وسبيل عامر بالأمل بإذن الله. نعم لتي كان الباطل يزداد بطشا وطغيانا وغدرًا، وصورة ذلك جلية في عدوان اليهود في فلسطين المحتلة، فإن ذلك عند المؤمن في إيمانه وبمعرفته بسنن الله هو بدايةٌ للنهاية بإذن الله.

﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا﴾.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾.

﴿مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾.

إن المسلم لا يسرف في التعلق بالأماني وسراب التمنيات، ولكن في الوقت ذاته لا يكون منكس الرأس في مستنقعات الهزائم ومواطن الذل والمهانة.

إن أمل المسلم ليس مكابرة ولا تمردًا على الواقع والوقائع ولكنه عقيدة راسخة يؤمن بها ويعمل في إطارها سندها كتاب الله عز وجل ﴿وَلاَ تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لاَ يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾، ﴿وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ﴾.

إن اليأس حيلة العاجز الذي يؤثر الانسحاب والعزلة، إن البلاء يحتمل بعظم الرجاء، والفرج طريقه الثقة بالله العلي الأعلى. المومن الحق لا تزلزله المحن، ولا تهده المكائد بل يزيده ذلك عطاءً وبذلا وتضحية. ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا

وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (١٤٦) وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوم الْكَافِرِينَ (١٤٧) فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

معاشر المسلمين: إن أولويات أهل العلم والرأي والدعاة والمصلحين أن يشيعوا الأمل الصادق في نفوس الأمة.

الأمل الذي يدعو إلى الثبات على الدين والعض عليه بالنواجذ والعمل على نصرته والذب عن حياضه، واليقين بأن نصر الله ينزل على أوليائه لا بمعجزة خارقة ولكن بسنة جارية يمتحن فيها العباد ليبلوهم أيهم أحسن عملا.

وهذا لا يتحقق بموعظة تتلى أو خطبة تلقى فحسب ولكن بقدوات صالحة قوية في دين الله ذاقت حلاوة اليقين وصدَّقت بموعود الله لأوليائه المتقين.

أيها المسلمون: أمة الإسلام تعيش غربة حقيقية بين الأمم وتنبع غربتها في تميزها وتمنعها على السير في ركاب الظلم والاستسلام وقد جر عليها هذا ضغوطا كبيرة وأحمالا ثقالا مادية وأدبية لا تكاد تطيقها، مستها فيها البأساء والضراء وزلزلت.

أيها المسلمون: طغيان القوة وغرورها يجعل صاحبه لا يبالي بمواقف الآخرين ولا بحقوقهم، بل إنه ليستهين بالأعراف وقواعد التعامل ويستكثر على غيره أن ينظر في مصالحه أو يتمسك بحقوقه أو يعتز بهويته وقيمه.

فالضعفاء في ميزان الظلم لا حق لهم إلا الخضوع والاستسلام، حين تضعف الأمم ينفجر الحقد المكبوت وينهض الخصوم يناوشون من كل مكان.

إن الإنسانية كلها مدعوة إلى التأمل في الأخطار الرهيبة التي تنتظرها إذا تجاهلت النذر المتصاعدة من الصدور الحاقدة التي تبث نيران العداوات والصراعات المدمرة وازدراء الأمم في معتقدها وفكرها وديانتها.

الظلم هو وقود الصراعات، والعنف لا يولد إلا العنف، وعقلاء البشر وقراء التاريخ يدركون أن قوة الظلم ما هي إلا كضوء شهاب سرعان ما ينطفئ.

إن الأمة الحية ولو كانت مستضعفة فإنها لن تقبل الظلم، بل قد تكون هذه الضغوط والمتغيرات سببا من أسباب يقظتها وحيويتها، فلا تهون عليها عزتها وكرامتها.

الأمة الكريمة الضعيفة وإن كانت لا تقوى علي المواجهة في مرحلة من المراحل لكنها لا ترضى بالدنية في عزتها ومبادئها ولن ترضى أن تنظر للآخرين باستجداء أو استخذاء.

أيها المسلمون: إن من دلائل الرشد والفقه استيعاب الأزمة وتوظيف دروسها لإحياء الأمة وبنائها بنفسية عزيزة وثابة من غير ضعف أو خور.

إن من الحق والحكمة الاعتراف بأن

الهزائم قد تكون لازمة من لوازم بناء الأمم من أجل القضاء على صور الاسترخاء ومظاهر الترف والفسق، ومن أجل الدربة (التدريب) على تحمل الظروف القاسية وزوال الطبقات الهشة من أجل الوصول إلى القواعد الصلبة، وقد تكون الهزائم أكثر ملازمة عندما تسود في الأمة الأمراض الاجتماعية ويحكمها الظلم وتشتد المظالم، وتهمل الحقوق ويفسق المترفون ويكثر الخبث فتكون الهزيمة عقوبة، وتسلُّط الأعداء بلاءً لتستيقظ الأمة وتوجه نحو العلاج فيكون التمحيص وتكون التنشئة على الجد والمسيرة المبصرة وحينئذ يستقيم المسار بإذن الله.

أيها المسلمون: الأمة لاشك بحاجة إلى إعادة ترتيب أمورها ودراسة أوضاعها بعمق، دراسة تتفهم المتغيرات، وإنها لمتغيرات كبيرة طفت على ساحاتها السياسية والاقتصادية والفكرية وغيرها مدركة إمكاناتها، مكتشفة مكامن قوتها وتأثيرها.

ومن أجل تلمس طريق المعالجة - معاشر المسلمين - لابد من التأكيد على أن أولى الأولويات؛ أن تعلم الأمة علم اليقين أنها لن ترتفع لها راية أو يعلو لها شأن إلا بصدق الإيمان وسلامة التوحيد وصفاء الإخلاص؛ إيمان يستنير به القلب وتستقيم به الجوارح وهذا لا يكون إلا بتربية جادة، وإنك لتحزن حين لا ترى إلا آثار تربية هشة، وأن طاقات الأمة تستنزف في أمور تذهب بحلاوة الإيمان وتضعف جذوته. وكيف يتصور التطلع إلى النصر بنفوس لم تذق حلاوة الإيمان «ذاق حلاوة الإيمان من رضي بالله ربا وبمحمد رسولا وبالإسلام دينًا».

كما يجب التأكيد أن الطريق الصحيح ومنهج التصحيح في مواجهة ضغوط الخارج وتحدياته ليس بالاشتغال بالرد عليها مما قد يجر أو جر إلى معارك خاسرة. ولكن الإصلاح الحقيقي والتصحيح الجاد يتمثل في التوجه نحو الداخل وتصفيته وتنقيته.

﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾.

ولا ريب أن ذلك شاق على النفس وثقيل في الممارسة.

لأن الإنسان في هذه الحالة سوف ينقد نفسه وسوف يصلحها أي أنه يجعل من نفسه الحجر والنحات في آن واحد.

وإن أصحاب الطريق المسدود والمتأزمين هم الذين يسلطون سياط نقدهم دائما نحو الخارج.

﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ آية كريمة ومعلم بارز وراية مرفوعة في رسم الطريق لهذا الإصلاح الداخلي.

ويقترن بهذه الآية آية أخرى توجه إلى مواجهة الخارج بالنقد الداخلي والإصلاح والتحسين، اقرأوا في خبر غزوة أحد: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ إنه ليس من الحكمة تضخيم شأن العدو إلى الحد الذي يجعل تصور هزيمته شيئًا بعيدًا، فالعدو بشر له حساباته وله موازاناته ومشكلاته

وإمكاناته، ﴿وَلاَ تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لاَ يَرْجُونَ﴾.

إن النصر العام لابد أن يسبقه نصر خاص. إن الأمة المنتصرة على أعدائها هي أمة قد حققت قبل ذلك نصرًا داخليا.

ومما يجب التأكيد عليه أخيرًا سلاح الصبر. والمراد بالصبر هنا احتمال المشاق والديمومة في تأدية التكاليف مهما كانت قسوة الظروف. إن الصبر لا يعني الاستسلام للأحوال السيئة والظروف القاسية ولكنه يعني عدم اللجوء إلى الحلول السريعة، إن الجري وراء الحلول السريعة لمشكلات مستعصية مآله الإحباط واليأس أو الاندفاع والتهور مما يزيد المشكلات تعقيدا ويجعل الحل الحقيقي بعيد المنال.

إن الصبر توظيف صحيح للوقت والزمن لحل أوضاع لا يستطاع حلها في الوقت القريب.

وبعد أيها المسلمون فإن النصر مع الصبر وإن الفرج مع الكرب، وإن مع العسر يسرا، وإن في رحم كل ضائقة أجنة انفراجها ومفتاحَ حلها، وطريق ذلك بإذن الله دين صحيح وعقل مستنير ومبضع جراح وحرقة والدة، وعلى الله قصد السبيل وهو الغالب على أمره.

قال تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾

إن من صعاب الأمور قياد الأمم أعقاب الهزائم وإحياء الأمل بعد الانكسارات، ولكن الرجال يستسهلون الصعب ويصابرون الأيام حتى يجتازوا الأزمات.

نعم إن الأمة الحية اليقظة لا تكف عن مراجعة أمرها وقياس أدائها في أصولها وأساليبها كما لا تمل في البحث عن المعوقات والحلول.

إن الأمة بحاجة إلى امتلاك الشجاعة الكافية للاعتراف بالأخطاء والتقصير في مسيرتها. وهي بحاجة إلى التفريق الدقيق بين الأعراض والأمراض حتى لا تعالج المظاهر والأعراض وتحمل الحقائق والأدواء.

لقد كشفت الأحداث المتوالية على الأمة اضطرابًا في الفهم واهتزازا في قراءة الأحداث واستسلام كثيرين للتضليل الإعلامي الذي يدير آلته الأعداء مما أثار اللبس وأشاع الشبهات فأنتج مع الأسف استسلامًا في بعض المواطن لاهتزاز الأقوياء ولضغوط إعلامية علا صوتها.

أيها المسلمون: الإصلاح يبدأ بالنفس وليس بضجيج الإعلام ولا هتاف الجماهير واندفاع الجموع. ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ إن الإصلاح يكمن في صلاح القلوب وارتباطها بصلاح العيوب، خضوع تام لله الواحد القهار عبادة وتذللا وانقيادًا وتسليمًا.

كيف تصبح مليونيراً؟!!

بقلم: د. صقر بن علي العمري

الحمد لله الذي له الحمد كله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم.. أما بعد:

كنت مع صديق لي نتحدث في موضوعات شتى حتى صادف أن تحدثنا عن المناصب وما يتعلق بها، فسألني صديقي فجاة: ما أعظم منصب في العالم الآن؟ أظنه كان يتوقع أن أقول: الملك، أو الرئاسة، أو الأمين العام للأمم المتحدة، أو ما شابه ذلك، لكني قلت دون تردد: إمامة الحرم في مكة المكرمة، فدهش لهذا الجواب، وسألني بلهفة: وكم راتبه؟ قلت: لا أستطيع أن أحسب راتبه خلال شهر واحد فقط إلا بآلة حاسبة؟

فظنني أمزح معه، ثم قال: راتبه ثلاثون ألفًا.. أربعون ألفًا.. خمسون ألف ريال؟ كم بالضبط؟

قلت: أحضر لي آلة حاسبة وأنا أقول لك كم راتبه بالتقريب وليس بالضبط، فأحضر الحاسبة وهو لا يزال يظنني أمزح معه.

فقلت له: احسب معي: كم تعادل صلاة واحدة في الحرم لغير الإمام؟ قال: مائة ألف صلاة، كما هو الحديث النبوي الشريف.

قلت: وإذا صلى في الحرم يومًا كاملاً، فكم يعادل فيما سواه؟

قال: مائة ألف يوم.

قلت: يعني: ١٠٠,٠٠٠ - ٣٥٤ «عدد أيام السنة القمرية» = ٢٨٢,٤٨ سنة.

ثم قلت: وإذا صلى لمدة شهر كامل «أي ٣٠ يومًا» فكم تساوي بالسنين؟ قال: احسبها، قلت: ٣٠× ٢٨٢,٤٨ =٨٤٧٤ سنة، أي أنك إذا صليت شهرًا واحدًا في الحرم فكأنك كنت تصلي خارج الحرم منذ العصر الحجري الحديث حتى الآن؟

قال: سبحان الله العظيم؟ ولكن ما علاقة هذا بوظيفة إمام الحرم؟

قلت: أليس للإمام من الأجر مثل كل من صلى خلفه دون أن ينقص من أجورهم شيء؟

قال: بلى، قلت: إذن أحسب معي مرة أخرى.

لو فرضنا أنه صلى من البشر خلف الإمام خلال شهر رمضان فقط «٣٠ يومًا» وفي سنة واحدة فقط مائة ألف مصلّ كمتوسط، فكم تساوي صلاته خلال شهر رمضان خارج الحرم بالسنين؟

قال: احسبها.

قلت: ١- صلاته في يوم واحدة فقط تساوي ٢٨٢,٤٨×١٠,٠٠٠ سنة = ٢٨,٢٤٨,٠٠٠ «ثمانية وعشرون مليون ومائتان وثمانية وأربعون ألف سنة» أي كأنه كان يتعبد منفردًا خارج الحرم المكي منذ أواسط حقبة الحياة القديمة!!

٣- وصلاته خلال شهر رمضان كله = ٢٨,٢٤٨,٠٠٠×٣٠=٨٤٧,٤٤٠,٠٠٠ «ثمانمائة وسبعة وأربعون مليون وأربعمائة وأربعون ألف سنة» أي كأنه كان يتعبد منذ ما قبل العصر الكميري «الكميري بدأ منذ حوالي ٦٠٠ مليون سنة»، كل هذا خلال شهر واحد فقط ولسنة واحدة فقط، فكيف بكل المدة التي قضاها إمامًا في الحرم؟ لا أنا ولا أولئك ولا هذه الحاسبة ولا كل الآلات نستطيع أن نحسبها؟ الله وحده يعلم ذلك.

فقال بدهشة بالغة: الله.. الله.. الله.. ما شاء الله.. لا قوة إلا بالله، اللهم زده وبارك له.

فقلت: آمين. ثم قال: ألا تستحق مكة أن توصف بأنها مكرمة؟ قلت: بلى والله.

وبعد أخي المسلم، هل لك في أن تأتي مكة المكرمة لتصلي في الحرم المكي يومًا واحدًا؟ أقصد ما يعادل مائتين واثنين وثمانين سنة وخمسة شهور ونصف في مكانك الآن؟

أرجو الله أن يمكنك من ذلك. فإن أكرمك الله ومكنك من ذلك، فلا تنس أخاك وأن تدعو لإخوانك المسلمين قاطبة.

أخي المسلم، أهجر شواطئ العراة، وتعال للسياحة في بلد الله الحرام، تعال وادعو غيرك إلى هذا الخير العظيم.

والله يهدي إلى الحق وهو الحق سبحانه والحمد لله رب العالمين.

الحجاب الشرعي للمرأة المسلمة

الحلقة الثالثة

للشيخ / محمد صفوت نور الدين
رحمه الله

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه .. وبعد :

نواصل - بعون الله تعالى - معكم ما بدأناه في الحلقات الماضية عن الحجاب الشرعي، فنقول - وبالله تعالى التوفيق -:

ردّ حديث أسماء:

جاء عند أبى داود في سننه من طريق الوليد بن مسلم عن سعيد بن بشير، عن قتادة عن خالد بن دريك، عن عائشة رضى الله عنها: أن أسماء بنت أبى بكر رضي الله عنها دخلت على رسول الله صلى اله عليه وسلم، وعليها ثياب رقاق فأعرض عنها وقال: «يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا» وأشار إلى وجهه وكفيّه. فقد قال فيه أبو داود بعد إيراده إنه مرسل، خالد لم يدرك عائشة..

ومعلوم أن رسول الله ﷺ لم يدخل بعائشة إلا بعد الهجرة إلى المدينة، وأن أسماء لَمّا هاجرت كان ابنها عبد الله بن الزبير رضى الله عنه في بطنها، وهو أول مولود ولد في دار الهجرة؟.. فمتى كان دخولها على رسول الله ﷺ؟. وآية الحجاب لم تنزل إلا بعد الهجرة في المدينة.

كما كانت أسماء رضى الله عنها من أكثر نساء الصحابة تمسكًا بالحجاب وستر الوجه خاصه.. فقد ذكر سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز: أن أسماء كانت تستر وجهها مطلقًا في الإحرام وغيره، وأورد قول ابن قدامة في المغني وابن رشد في البداية: بأن المرأة إحرامها في وجهها إجماعًا. ولها أن تغطي رأسها وتستر شعرها، ولها أن تسدل ثوبها على وجهها من فوق رأسها سدلا خفيفًا، تستتر به عن نظر الرجل، إلا ما روي عن أسماء أنها كانت تغطى وجهها وهى محرمة.

فلو صح ذلك الحديث لكانت أسماء أول من يبادر إلى تطبيقه، وهي المخاطبة به..

ولذا نرى الشيخ عبد العزيز بن باز يضعّفه بثلاث علل:

الأولى: لأنه من رواية خالد بن دريك عن عائشة، وخالد لم يسمع منها فهو منقطع.

وقد حكم عليه راويه أبو داود بهذه العلة وقال بعد ذلك هو مرسل.. كما مرّ بنا.

الثانية: في إسناده سعيد بن بشير وهو ضعيف لا يحتجَ بروايته.

الثالثة: عنعنة قتادة عن خالد بن دريك وهو مدلّس.

- ثم تتبعت طرق حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، الذي هو حديث أسماء مثار البحث، فقد روى أبو داود في سننه(٢)، والبيهقيّ في الكبرى، وابن عديٍّ في الكامل، والبيهقىّ في المعرفة.

كلهم رووا عن طريق الوليد بن مسلم، عن سعيد بن بشير، عن قتادة عن خالد بن دريك عن عائشة أن أسماء بنت أبي بكر، دخلت على رسول الله ﷺ، وعليها ثياب رقاق فأعرض عنها رسول الله ﷺ، وقال: يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض، لم يصلح لها أن يرى منها إلا هذا، وهذا.. وأشار إلى وجهه وكفيه».. وقد ظهر لى من ذلك.. أن هذا الحديث مسلسل بالعلّل، التى اهتم بها علماء الجرح والتعديل:

أحدها: أن خالدًا لم يسمع من عائشة، قال أبو داود في سننه: هذا مرسل، خالد بن دريك

لم يسمع عائشة.. وقال في سؤالات الآجرىّ: لم يدرك عائشة.

وقال المنذرىّ في الترغيب والترهيب: لم يدرك عائشة.

وقد تبعهما في هذا من بعدهما، ممن كتب في الجرح والتعديل، وفى تتبع رجال السند.

الثانى: أن خالدًا تفرّد به دون باقي الرواة عن عائشة رضي الله عنها، وفي هذا بُعْد.

الثالث: أن قتادة بن دعامة السدوسي، مدلّس مشهور بذلك، عند أهل الحديث، ولم أر له تصريحًا بالسماع.

الرابع: أن الراوي عن قتادة هو سعيد بن بشير، وقد تفرّد به دون باقى أصحاب قتادة بهذا الإسناد وهو بعيد..

قال أبو أحمد بن عدىّ: ولا أعلم رواه عن قتادة بهذا الإسناد غير سعيد بن بشير.

فتفرد سعيد بن بشير بهذا الأثر دون جميع أصحاب قتادة، وفيهم الأئمة يدل على غرابة هذا الإسناد.

الخامس: أن سعيد بن بشير هذا ضعيف على الصحيح من أقوال أهل العلم.

السادس: أنه اختلف على سعيد بن بشير فيه، فقال مرّة فيه: عن خالد بن دريك، عن أم سلمة بدل عائشة.

السابع: أنه رواه عن سعيد بن بشير، الوليد بن مسلم، وهو مشهور بالتّدليس عند علماء الحديث. ولم أر له تصريحًا بالسّماع.

الثامن: أن قتادة قد اختلف عليه فيه، فرواه عنه سعيد بن بشير كما سبق.

ورواه عنه هشام الدّستوائى مقطوعًا: أن رسول الله ﷺ قال، وذكره. وإسناده منقطع، ومراسيل قتادة ضعيفة جدًا.

التاسع: أنه قد اختلف في متنها، ففى رواية سعيد بن بشير: وكفّاها، وفى رواية هشام قال: ويداها إلى المفصل.

العاشر: أن فيه نكارة أشدّ مما سبق، وهي مخالفته للقرآن الكريم، والله عزّ وجل يقول: ﴿ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن.. الآية﴾، وقد توسّع في هذا الألبانى في حديثه عن جلباب المرأة المسلمة، والرسول ﷺ بالنسبة لأسماء رضي الله عنها، ليس من أولئك المذكورين في الآية الكريمة.. فكيف تدخل عليه أسماء بثياب رقاق؟.

الحادى عشر: أنه مخالف لما روته عائشة رضى الله عنها في أحاديث منها:

١- في قصة الإفك وأنها غطّتْ وجهها.

٢- في حديث عمر حينما قال: عرفناك يا سودة.. فقالت: عائشة: فنزلت آية الحجاب.

وغير ذلك، وبهذا يصبح حديث أسماء منكرًا جدًا.

الثانى عشر: أنه مخالف لما عرف عن حياء أسماء رضى الله عنها.. وغيرة زوجها الزبير بن العوام.. ولا أدلّ على ذلك مما رواه البخارى.

الثالث عشر: أن خالدًا هذا: ابن دريك قال فيه ابن القطّان: مجهول الحال، كما جاء في نصب الراية.

. فإن قيل: فإن له طريقًا آخر يشهد، وهو ما جاء في الطبراني في الأوسط، وفى الكبير، وعند البيهقى في السنن الكبرى، عن طريق محمد بن رمح، عن ابن لهيعة عن عياض بن عبد الله، أنه سمِع إبراهيم بن عبيد بن رفاعة الأنصارىّ، يخبر عن أبيه، أظنه عن أسماء بنت عميس، أنها قالت: دخلَ رسول الله ﷺ على عائشة بنت أبى بكر، وعندها أختها أسماء بنت أبى بكر، وعليها ثياب شامية، واسعة الأكمام. فلما نظر إليها رسول الله ﷺ، قام فخرج. فقالت لها عائشة رضى الله عنها: تَنَحَّيْ فقد رأى رسول الله ﷺ أمرًا كرهة فتنحّت فدخل رسول الله ﷺ فسألته عائشة رضي الله عنها: لم قام؟. قال: أو لم تَرَي إلى هيئتها، إنه ليس للمرأة المسلمة أن يبدو منها إلا هذا، وهذا.. وأخذ بكفّيه فغطّى بهما ظهر كفيه، حتى لم يبد من كفّه إلا أصابعه، ثم نصب كفيه على صدغيه، حتى لم يبد إلا وجهه.. قال البيهقيّ إسناده ضعيف. قلت:

وهذا الحديث فيه ابن لهيعة، وهو عبد الله أبو عبد الرحمن المصرىّ، وهو ضعيف، وخصوصًا إذا انفرد كما هنا.. فقد انفرد بهذا الإسناد.. بل وشيخه عياض بن عبد الله القرشيٍ الفهريٍّ المدني ثم المصري، قال عنه البخاريٍّ: منكر الحديث، وقال أبو حاتم: ليس بالقويٍّ، وقال العقيلي: حديثه غير محفوظ وذكره ابن حبان في الثقات.

كما يلاحظ عليه الشكّ في الحديث، هل هي أسماء بنت عميس أم لا؟ بقوله «أظنّ».

ردّ ما يستندون إليه:

وللداعين إلى التساهل في حجاب المرأة بعض الطرق، التي يتلمسّون بها ما يقوي رغبتهم في تأصيل ما يدعون إليه، ومن ذلك:

١- قصة المرأة الخثعميّة، التي كانت تسأل رسول الله ﷺ في الحج، ووصفت بأنها وضيئة أعجبت الفضل مما يدل على أنها كانت كاشفة وجهها.

٢- حكاية المرأة التي وهبت نفسها للنبيّ ﷺ، وجاء فيه أن النبي ﷺ صعّد فيها النظر، ولم يأمرها بالتّستر مما يدل على أنها كانت كاشفة وجهها.

٣- ما جاء في حديث جابر رضي الله عنه، الذي أخبر فيه أن رسول الله ﷺ بعد صلاة العيد، مضى حتى أتى النساء فوعظهن وذكّرهن فقال «تصدقن فإن أكثركن حطب جهنّم» فقامت امرأة من سطة النساء سفعاء الخدين، فقالت: ولم يا رسول الله؟. فلو لم تكن كاشفة لم توصف بذلك.

وقد ناقش العلماء هذا الأمر قديمًا وحديثًا، وممن بحثه حديثًا: الشيخ محمد الأمين الشنقيطى، في تفسيره أضواء البيان في الجزء السادس، عند مروره بسورة النور، وسورة الأحزاب، والشيخ عبد العزيز بن باز، واعتبر العلماء الفيصل في هذا آيات الحجاب التي أنزلها الله في كتابه الكريم، فهو سبحانه له الحكمة البالغة، ويعلم طبائع خلقه، وما يتمثل في النفوس البشرية، منذ خلق آدم، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وما يطرأ على النفوس من تغييرات، وما تصلح به المجتمعات وتستقيم به أحوال أهلها، وما يفسدها بحسب ما أودع الله سبحانه في طبائع البشر من شهوات ورغبات، خاصة عندما يضعف الحارس الإيمانى والحاجز اليقينى، بمراقبة الله في السرّ والعلن..

خاصة وأن الدعوة إلى عدم حجاب المرأة المسلمة، بما يمكّن الحياء، ويحجب محاسنها عن الأجانب، يدعوها إلى ترك الحجاب، الذي فهمته نساء الصحابة، وطبقته ساعة نزول آية الحجاب، وحثّ عليه رسول الله ﷺ. بأمره من ليس لها جلباب، أن تلبسها أختها من جلبابها، ويدعوها ذلك لمخالفة أمر الله، وما تفسير الصحابة رضوان الله عليهم لآية الحجاب، والنبيّ ﷺ موجود بينهم ينزل عليه الوحي، الا دليل بأن المراد: بإدناء الحجاب، وبضرب الخُمُر على الجيوب: إنما يدخل فيه ستر الوجه، وتغطيته مع الشعر عن الرجال، وأن ستر المرأة وجهها عمل بالنصّ القرآنى الكريم، كما قالته وعملته عائشة رضي الله عنها، ونساء الرعيل الأول من هذه الأمة، وعنهم أخذ بذلك التابعون، ومن جاء بعدهم، وليس ما يقوله بعض الناس في حججهم، بأن هذا الحجاب، لم يعرف إلا في العصور المتأخرة، عندما فرضه العثمانيون وهو من موروثات العادات القديمة عندهم.

ذلك أن احتجاب النساء عن الرجال، وسترهن وجوههن، التي هي موضع الفتنة، ومجامع الحسن، ما هو إلا تصديق بكتاب الله سبحانه، وإيمان بأنه منزل من عند الله، وواجبهن الامتثال، وحسن الاتباع: سمعًا وطاعة، وعملا.. خاصة وأنهن عرفن مثل هذا الحديث عنه ﷺ: «إن المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان، وأقرب ما تكون من رحمة ربّها وهي في قعر بيتها» رواه الترمذى عن بندار.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

من دلائل النبوة في الأناجيل

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد.

على الرغم من كون القرآن الكريم معجزا في تركيبه اللغوي وأسلوبه البياني وشاهدا على صدق النبي الأمي في دعوته إلى الإسلام إلا أن الحق تتعدد شواهده وتزداد محامده، فهو أبلج لا تخفى طلاوته على الأذهان، وقد رأينا من آثار الوحي في الأناجيل ما يشهد بصدق ما جاء في التنزيل. وفي هذه المقالة نضرب عددا آخر من الأمثلة:

الحلقة الثالثة

إعداد/ محمود عبد الرازق

النص الثامن: تفاوت الناس في الانتفاع بهداية السماء

ضرب النبي ﷺ لما جاء به من الدين مثلا بالغيث العام الذي يأتي الناس في حال حاجتهم إليه، فالغيث يحيي البلد الميت، وكذا علوم الدين تحيي القلب الميت.

ثم شبَّه ﷺ السامعين له المستجيبين لأمره على اختلاف أنواعهم، فمنهم العالم العامل المعلم فهو بمنزلة الأرض الطيبة شربت فانتفعت في نفسها وأنبتت فنفعت غيرها، ومنهم الجامع للعلم لكنه لم يعمل بنوافله أو لم يتفقه فيما جمع لكنه أداه لغيره، فهو بمنزلة الأرض التي يستقر فيها الماء فينتفع الناس به، ومنهم من يسمع العلم فلا يحفظه ولا يعمل به ولا ينقله لغيره، فهو بمنزلة الأرض السبخة أو الملساء التي لا تقبل الماء أو تفسده على غيرها، هذا المثل ورد في حديث أَبي مُوسَى الأشعَرِي رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ، كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتِ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتِ الْكَلأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لا تُمْسِكُ مَاءً وَلا تُنْبِتُ كَلأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ» أخرجه البخاري في كتاب العلم برقم (٧٩).

عند النظر في هذا المثل نجد الفكرة واضحة في ذكر الماء والبذور والأرض والتفاوت في إنباتها الزرع، كذلك كلام الله وتفاوت الناس في الاستجابة له، وهذا كله مصوغ بصياغة نبوية بكلام مَنْ لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، فانظر إلى هذا المثل كيف ورد في الإنجيل؟ فيحكي كاتب الإنجيل أن عيسى عليه السلام قال: (هَا إِنَّ الزَّارِعَ قَدْ خَرَجَ لِيَزْرَعَ، وَبَيْنَمَا هُوَ يَزْرَعُ وَقَعَ بَعْضُ البِذَارِ عَلَى المَمَرَّات، فَجَاءَتِ الطُّيُورُ،

وَالتَّهَمَتْهُ، وَوَقَعَ بَعْضُهُ عَلى أَرْضٍ صَخْرِيَّةٍ رَقِيقَةِ التُّرْبَةِ، فَطَلَعَ سَرِيعًا لأَنَّ تُرْبَتَهُ لمْ تَكُنْ عَمِيقَةً، وَلكِنْ لمَّا أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ احْتَرَقَ وَيَبِسَ لأَنَّهُ كَانَ بِلا أَصْلٍ، وَوَقَعَ بَعْضُ البِذَارِ بَيْنَ الأَشْوَاكِ فَطَلَعَ الشَّوْكُ وَخَنَقَهُ، وَبَعْضُ البِذَارِ وَقَعَ فِي الأَرْضِ الجَيِّدَةِ فَأَثْمَرَ بَعْضُهُ مِئَةَ ضِعْفٍ، وَبَعْضُهُ سِتِّينَ، وَبَعْضُهُ ثَلاثِينَ، مَنْ لهُ أُذُنَانِ فَلْيَسْمَعْ!

أَلَمْ تَفْهَمُوا هَذَا المَثَلَ؟ فَكَيْفَ تَفْهَمُونَ جَمِيعَ الأَمْثَالِ الأُخْرَى؟ إِنَّ الزَّارِعَ يَزْرَعُ كَلِمَةَ الله، وَهَؤُلاءِ الَّذِينَ عَلَى المَمَرَّاتِ حَيْثُ تُزْرَعُ الْكَلِمَةُ، هُمُ الَّذِينَ حَالمَا يَسْمَعُونَ يَأْتِي الشَّيْطَانُ وَيَخْطَفُ الْكَلِمَةَ الَّتِي زُرِعَتْ فِيهِمْ، وَكَذلِكَ هؤُلاءِ الَّذِينَ تُزْرَعُ فِيهِم الكَلِمَةُ عَلَى أَرْضٍ صَخْرِيَّةٍ، وَهُمُ الَّذِينَ حَالمَا يَسْمَعُونَ الْكَلِمَةَ يَقْبَلُونَهَا بِفَرَحٍ، وَلا أَصْلَ لَهُمْ فِي ذَوَاتِهِمْ، وَإِنَّمَا هُمْ إِلَى حِينٍ، فَحَالمَا يَحْدُثُ ضِيقٌ أَوِ اضْطِهَادٌ مِنْ أَجْلِ الْكَلِمَةِ يَتَعَثَّرُونَ.

وَالآخَرُونَ الَّذِينَ تُزْرَعُ فِيهِم الْكَلِمَةُ بَيْنَ الأَشْوَاكِ، هَؤُلاءِ هُمُ الَّذِينَ قَدْ سَمِعُوا الْكَلِمَةَ، وَلَكِنَّ هُمُومَ الزَّمَانِ الحَاضِرِ وَخِدَاعَ الْغِنَى وَاشْتِهَاءَ الأُمُورِ الأُخْرَى تَدْخُلُ إِلَيْهِمْ وَتَخْنُقُ الْكَلِمَةَ فَتَصِيرُ بِلَا ثَمَرٍ، وَأَمَّا الَّذِينَ تُزْرَعُ فِيهِمِ الْكَلِمَةُ فِي الأَرْضِ الجَيِّدَةِ فَهَؤُلاءِ هُمُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ الْكَلِمَةَ وَيَقْبَلُونَهَا فَيُثْمِرُونَ، بَعْضُهُمْ ثَلاثِينَ ضِعْفًا، وَبَعْضُهُمْ سِتِّينَ، وَبَعْضُهُمْ مِئَةً) إنجيل لوقا الإصحاح الثامن ٤:١٥

النص التاسع: كيف يصير الآخرون أولين؟

ورد في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «نَحْنُ الآخِرُونَ الأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَنَحْنُ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ، بَيْدَ أَنَّهُمْ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا وَأُوتِينَاهُ مِنْ بَعْدِهِمْ، فَاخْتَلَفُوا فَهَدَانَا اللَّهُ لِما اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الحَقِّ» أخرجه مسلم في كتاب الجمعة برقم (٨٥٥).

وقد ضرب النبي ﷺ مثلا في كون أمته تسبق الأمم الأخرى فمن حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ: «إِنَّمَا بَقَاؤُكُمْ فِيمَا سَلَفَ قَبْلَكُمْ مِنَ الأُمَمِ كَمَا بَيْنَ صَلاةِ الْعَصْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ، أُوتِيَ أَهْلُ التَّوْرَاةِ التَّوْرَاةَ، فَعَمِلُوا حَتَّى إِذَا انْتَصَفَ النَّهَارُ عَجَزُوا، فَأُعْطُوا قِيرَاطًا قِيرَاطًا، ثُمَّ أُوتِيَ أَهْلُ الإِنْجِيلِ الإِنْجِيلَ فَعَمِلُوا إِلَى صَلاةِ الْعَصْرِ، ثُمَّ عَجَزُوا فَأُعْطُوا قِيرَاطًا قِيرَاطًا، ثُمَّ أُوتِينَا الْقُرْآنَ، فَعَمِلْنَا إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ، فَأُعْطِينَا قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ، فَقَالَ أَهْلُ الْكِتَابَيْنِ: أَيْ رَبَّنَا، أَعْطَيْتَ هَؤُلاءِ قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ، وَأَعْطَيْتَنَا قِيرَاطًا قِيرَاطًا، وَنَحْنُ كُنَّا أَكْثَرَ عَمَلا، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: هَلْ ظَلَمْتُكُمْ مِنْ أَجْرِكُمْ مِنْ شَيْءٍ؟ قَالُوا: لا، قَالَ: فَهُوَ فَضْلِي أُوتِيهِ مَنْ أَشَاءُ» أخرجه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة برقم (٥٥٧).

ذكر ابن حجر العسقلاني رحمه الله أن ظاهر المثل أن الله تعالى قال لليهود آمنوا بي وبرسلي إلى يوم القيامة، فآمنوا بموسى عليه السلام إلى أن بعث عيسى عليه السلام، فكفروا به، وذلك في قدر نصف المدة التي من مبعث موسى عليه السلام إلى قيام الساعة، وكذلك القول في النصارى آمنوا بموسى وعيسى وكفروا بمحمد ﷺ إلا أن فيه إشارة إلى أن مدتهم كانت قدر نصف المدة، فاقتصروا على نحو الربع من جميع النهار، أما المسلمون فآمنوا بموسى وعيسى ومحمد ﷺ وجميع الرسل، انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري (٤/٤٤٨).

ولننظر الآن كيف يكون الآخِرُونَ أوَّلِينَ في الإنجيل؟ إذ يُروى عن عيسى عليه السلام أنه قال: (فَإِنَّ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ يُشَبَّهُ بِإِنْسَانٍ رَبِّ بَيْتٍ خَرَجَ فِي الصَّبَاحِ البَاكِرِ لِيَسْتَأْجِرَ عُمَّالا لِكَرْمِهِ، وَاتَّفَقَ مَعَ العُمَّالِ عَلى أَنْ يَدْفَعَ لِكُلٍّ مِنْهُمْ دِينَارًا فِي الْيَوْمِ، وَأَرْسَلَهُمْ إِلى كَرْمِهِ، ثُمَّ خَرَجَ نَحْوَ السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ صَبَاحًا، فَلَقِيَ فِي سَاحَةِ المَدِينَةِ عُمَّالا آخَرِينَ بِلا عَمَلٍ، فَقَالَ لَهُمْ: اذْهَبُوا أَنْتُمْ أَيْضًا وَاعْمَلُوا فِي كَرْمِي فَأُعْطِيَكُمْ

مَـا يَحِقُّ لكُمْ! فَذَهَبُوا، ثُمَّ خَـرَجَ إِلى السَّـاحَـةِ أَيْضًا نَحْوَ السَّاعَةِ الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ ظُهْرًا، ثُمَّ نَحْوَ الثَّـالِثَـةِ بَعْـدَ الظُّهْـرِ، أَرْسَل مَـزِيدًا مِنَ العُمَّال إِلى كَرْمِهِ، وَنَحْوَ السَّاعَةِ الخَامِسَةِ بَعْدَ الظُّهْرِ، خَرَجَ أَيْضًا فَلقِيَ عُمَّالا آخَرِينَ بِلا عَمَلٍ فَسَأَلهُمْ: لمَاذَا تَقِفُونَ هُنَا طُول النَّهَارِ بلا عَمَلٍ؟ أَجَابُوهُ: لأَنَّهُ لمْ يَسْتَأْجِرْنَا أَحَدٌ، فَقَالَ: اذْهَبُوا أَنْتُمْ أَيْضًا إِلى كَرْمِي! وَعِنْدَمَا حَل المَسَاءُ، قَال رَبُّ الكَرْمِ لوَكِيلهِ: ادْعُ العُـمَّال وَادْفَع الأُجْـرَةَ مُبْتَدِئًا بَالآخَرِينَ وَمُنْتَهِيًا إِلى الأَوَّلينَ، فَجَاءَ الذِينَ عَمِلُوا مِنَ السَّاعَةِ الخَامِسَةِ وَأَخَذَ كُلٌّ مِنْهُمْ دِينَارًا، فَلمَّـا جَـاءَ الأَوَّلُونَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ سَيَأْخُذُونَ أَكْثَـرَ، وَلكِنَّ كُل وَاحِدٍ مِنْهُمْ نَال دِينَارًا وَاحِدًا، وَفِيمَا هُمْ يَقْبضُونَ الدِّينَارَ تَذَمَّرُوا عَلَى رَبِّ البَيْتِ قَائِلِينَ: هَؤُلاءِ الآخِرُونَ عَمِلُوا سَاعَةً وَاحِدَةً فَقَطْ، وَأَنْتَ قَدْ سَاوَيْتَهُمْ بِنَا نَحْنُ الذِينَ عَمِلنَا طُول النَّهَارِ تَحْتَ حَرِّ الشَّمْسِ! فَأَجَابَ وَاحِدًا مِنْهُمْ: يَا صَاحِبِي، أَنَا مَا ظَلمْتُكَ، أَلمْ تَتَّفِقْ مَعِي عَلى دِينَارٍ؟ خُذْ مَا هُوَ لكَ وامْضِ فِي سَبِيلكَ، فَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أُعْطِيَ هَذَا الأَخِيرَ مِثْلكَ.

أَمَا يَحِقُّ لي أَنْ أَتَصَرَّفَ بِمَالي كَمَا أُرِيدُ؟ أَمْ أَنَّ عَيْنَكَ شِرِّيرَةٌ لأَنَّنِي أَنَا صَالحٌ؟ فَهَكَذَا يَصِيرُ الآخِرُونَ أَوَّلينَ وَالأَوَّلُونَ آخِرِينَ) إنجيل متى ٢٠/١:١٦ .

النص العاشر: اسألوا تعطوا

الدعاء من أشرف أنواع العبادة، وقد تكفل الله بإجابة الدعوة الخالية عن الإثم والعدوان وقطيعة الأرحام، إما بإعطاء السؤال معجلا أو مثله من الخير مؤجلا، أو يصرف عن السائل من السوء مثل ذلك، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة:١٨٦] وقال أيضا: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر:٦٠].

ومن حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ وَلا قَطِيعَةُ رَحِمٍ إِلا أَعْطَاهُ اللَّهُ بِهَا إِحْدَى ثَلاثٍ، إِمَّا أَنْ تُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الاخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا، قَالُوا: إِذًا نُكْثِرُ؟ قَالَ: اللَّهُ أَكْثَرُ» أخرجه أحمد في المسند برقم (١٠٧٤٩).

هذا بعض ما ورد عن الدعاء وفضله في القرآن والسنة، فماذا ورد في الإنجيل؟ يقول عيسى عليه السلام: (اسْأَلُوا تُعْطَوْا، اطْلُبُوا تَجِدُوا، اقْرَعُوا يُفْتَحْ لكُمْ، فَكُلُّ مَنْ يَسْأَل يَنَل وَمَنْ يَطْلُبْ يَجِدْ وَمَنْ يَقْرَعْ يُفْتَحْ له، وَإِلا فَأَيُّ إِنْسَانٍ مِنْكُمْ يَطْلُبُ مِنْهُ ابْنُهُ خُبْزًا فَيُعْطِيهِ حَجَرًا، أَوْ سَمَكَةً فَيُعْطِيهِ حَيَّةً؟ فَإِنْ كُنْتُمْ وَأَنْتُمْ أَشْرَارٌ تَعْرِفُونَ أَنْ تُعْطُوا أَوْلادكُمْ عَطَايَا جَيِّدَةً، فَكَمْ بِالأَحْرَى جِدًا يُعْطِي أَبُوكُمُ(١) السَّمَاوِيُّ عَطَايَا جَيِّدَةً للذِينَ يَطْلُبُونَ مِنْهُ؟) إنجيل متى الإصحاح السابع ١١:٧ .

هذه بعض الأمثلة التي تدل يقينا على نبوة المصطفى ﷺ، فالذي يسمع هذه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية المصوغة بمنتهى البلاغة اللغوية، وهو يعلم وجودها في النصوص الإنجيلية لا شك أن قلبه يتزلزل ويدرك أن ما أنزل ذلك إلا رب السماوات والأرض بصائر للناظرين.

هامش:

(١) وإن كان الله تعالى ينزه عن الأبوة والبنوة.

فهو سبحانه لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد.

ابتلاءات على طريق أهل الإسلام

بقلم
علي الوصيفي

لا يخفى على الله تعالى ما تدور به الدوائر وتتقلب به الأيام وتبيت عليه الليالي، من الكيد والمكر بأهل الإسلام وأصحاب السنن، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَخْفَى عَلَيْـهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ﴾ [آل عمران:٥] وكيف يخفى على الله تعالى شيء هو الذي قدره، وهو الذي كتبه وشاءه وخلقه. قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ [الأنعام:١١٢] وقال تعالى: ﴿أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك:١٤].

أصحاب البصيرة

وقد يبصر الله تعالى أصحاب البصيرة بما ينتظر من المصائب والفتن، لا رجما بالغيب ولا كهانة (حاشاهم أن يكونوا كذلك)، ولكنهم يستوضحون ذلك من بطون السنن التي لا تتبدل ولا تتغير، ومن بشارات الرؤى الصالحة، التي هي جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة، ومما أعطى الله تعالى من الفراسة والفهم والاستنباط. قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة:٢٦٩] فلا تكاد تنظر في مصيبة إلا ولأهل العلم فيها مقال، إما تفسير وبيان، وإما تحذير وتخويف، بينما ترى الجهلة لا يرون المحن إلا إذا حكت أظهرهم، وقلمت أظفارهم، ونكست أعلامهم، ومن هنا كانت الأمم لا ترقى ولا تحفظ إلا بالعلم والعلماء وأهل الفضل والدين.

أعظم الابتلاءات

كان انتشار الفرق والمذاهب الضالة وهجران سبيل السلف الصالح رضي الله عنهم من أعظم الابتلاءات التي ابتليت بها الأمة قال النبي ﷺ: «وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة» (صحيح الجامع ٢٠٤٢) وهذا أمر واضح، ولا يماري في ذلك عاقل وقد كان ذو الخويصرة التميمي أولَ رأس في هذه الفتن، فهو أول خارجي في الإسلام، وكان ذلك في عهد النبي ﷺ، إذ قال للنبي ﷺ وهو يقسم قسما: اعدل يا محمد. فقال له النبي ﷺ: «ويلك، ومن يعدل إذا لم أعدل، قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل». (متفق عليه) فكان هذا الرجل ومن خرج من ضئضئه خصوما لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه يقاتلونه يوم النهروان، فانظر إلى ما في خطاب ذي الخويصرة من سوء الأدب والظن بالمعصوم ﷺ أنه يحكم بهوى نفسه، ولا شك أن من ظن بالمعصوم ﷺ ذلك فهو خارج عن ملة الإسلام، ولكن النبي ﷺ كان يترفق بالناس ويداري ويحلم، حتى لا يقال إن

محمدًا يقتل أصحابه، وقد كان النبي ﷺ يمهل الرجل فلا يعاقبه ولا يلومه لحداثة عهده بالإسلام، وربما تركه انتظارا لعقوبة شديدة موعودة بقدر الله تعالى في زمن آخر، لتكون عبرة له ولأمثاله، فهذه حكم كثيرة لا تخفى على أصحاب البصيرة، الواثقين في نصر الله تعالى لأوليائه وخلصائه.

فتنة الردة

وقد كانت فتنة الردة أول فتنة بعد موت النبي ﷺ إذ خرج من خرج بالكفر وإنكار النبوة، وخرج من خرج بإنكار فرضية الزكاة، ومنهم من منعها الخليفةَ ظانًا خصوصية الخطاب للنبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾ [التوبة:١٠٣] فلا تعطى أحدًا بعده؛ فقيض الله تعالى لهذه الفتنة أبا بكر الصديق رضي الله عنه، إذ قام فوأدها في مهدها، وحفظ الله تعالى به الأمة وأقام به الدين.

ولقد ضرب أبو بكر الصديق رضي الله عنه المثل في بيان فساد فكر التقريب بين أهل السنة وخصومهم، فلم يتألف الناس بشعر كاذب ولا بحديث مفترى، بل رفع السيف والسنان؛ حتى رد الناس إلى الدين ردا جميلا.

مقتل عثمان رضي الله عنه

ثم جاء مقتل عثمان رضي الله عنه لتتجلى من الخليفة مكانة الدماء المسلمة وحرمتها عند الله، فمنع رفع السيف على عنق مسلم يقول لا إله إلا الله، ولكنه رضي الله عنه يبين لهم أنهم لن يجتمعوا بعده على إمام، فكان ما بشر به، ولو أن هؤلاء صبروا حفظا للصف ودرءًا للفتنة لكان خيرا لهم وأقوم، وهذا هو المنهج الذي أرساه الإسلام بعدم الخروج على الولاة وإن ظلموا، وصدق من قال: «سلطان ظلوم خير من فتنة تدوم» ولكن عثمان رضي الله عنه لم يظلم أحدا؛ ومع ذلك خرجوا عليه، وقتلوه مع ما له من أياد بيضٍ في خدمة الإسلام والمسلمين، ونسوا أنه من المبشرين بالجنة، ولم يشفع له قربه من رسول الله ﷺ وزواجه من ابنتيه حتى قتلوه.

فتنة الخوارج

ثم جاءت فتنة الخوارج في زمن علي رضي الله عنه - كما أخبر النبي ﷺ - فقاتلهم قتالا شديدا بسبب خروجهم على جماعة المسلمين، وعدم رضاهم بالتحكيم بين الفريقين المتنازعين لحقن دمائهم رضي الله عنهم، وقولهم «لا حكم إلا لله» فقال كلمته الشهيرة: «كلمة حق أريد بها باطل» وحاجهم بابن عمه عبد الله بن العباس رضي الله عنه لما قالوا قاتل ولم يَسْبِ قال لهم: «أتريدون أن تَسْبُوا أمكم عائشة؟ ولما قالوا: رفع عن نفسه لقب أمير المؤمنين. فقال لهم: إن النبي ﷺ محا لقب رسول الله ﷺ بنفسه في صلح الحديبية وقال: «والله إني لرسول الله وإن كذبتموني» (رواه البخاري وأحمد والطبراني) ولما قالوا له: «حكَّمَ الرجال في دين الله» قال لهم: إن الله تعالى حكمَّ الرجال في دم أرنبٍ لا يساوي درهمين، قال تعالى: ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ [المائدة:٩٥] أفتحكيم الرجال في دم أرنبٍ أولى أم تحكيم الرجال لحفظ دماء المؤمنين. وبعد المناظرة عاد منهم بأربعة آلاف رجل فيهم زعيمهم ابن الكواء.

وقد كان الخوارج في استحلال دماء

المؤمنين أشداء، حتى صدق فيهم قول رسول الله ﷺ: «يقتلون أهل الإسلام ويذرون أهل الأوثان» (متفق عليه). فقد قتلوا عبد الله بن خباب صاحب رسول الله ﷺ وبقروا أم ولده عما في بطنها وكفوا عن أهل الذمة، إلى غير هذا من الاعتقادات الزائفة، كتكفيرهم مرتكب المعصية، وزعمهم أن من لم يأمر بالمعروف وينه عن المنكر فهو كافر ولو كان عاجزا. وقد أمر الرسول ﷺ بقتالهم، وجعلهم شر قتلى تحت أديم السماء، وجعل في قتلهم أجرا لمن قتلهم يوم القيامة كما ثبت ذلك في الصحيح عنه ﷺ. فدل ذلك على فساد فكر التقريب مع أهل البدع، إذا كان قتال الولاة لهم من أعظم القربات إلى الله تعالى.

ظهور التشيع

وكان من جملة الفتن التي ظهرت في زمن علي رضي الله عنه فتنة الشيعة، وقد كان زعيمهم عبد الله بن سبأ اليهودي، وأصل معتقدهم الغلو في علي بن أبي طالب رضي الله عنه، إذ قالوا إنه إله الكون، فلما بلغه قولهم أضرم لهم نارا وقذفهم فيها، وقال قولته المشهورة.

لما رأيت الأمر أمرًا منكرا
أججت ناري ودعوت قنبرا

وقد تطور فكر الشيعة فقالوا بالرجعة والبداء والتقية، وأنكروا الصفات الربانية، وأنكروا رؤية الله تعالى في الآخرة، وكفَّروا الصحابة رضي الله عنهم في مقابل القول بعصمة أئمتهم. ومن أجل ذلك صاروا شر أهل الأرض، لا تستجاب لهم دعوة ولا ترفع لهم راية.

فلا يخفى أن باب الشر مفتوح على الإسلام والمسلمين من قبل الروافض من قديم الزمان، ولم يعهد منهم خير قط، إنما تجد خطبا رنانة وهتافات بالية، وهم في حقيقة الأمر يبيتون المكر دائما مع أعداء الله على السنة والإسلام والمسلمين.

فتنة القدرية

ثم جاءت فتنة القدرية وكان مبدؤها على أيدي أناس يتقفرون العلم، وكان زعيمَهم معبدٌ الجهني في بلاد الكوفة، وكان أولَ أمرهم إنكارُ علم الله الأزلي إذ قالوا: «لا قدر والأمر أنف» (متفق عليه وهذه رواية مسلم) وأُنُفٌ يعني مستأنف، يريدون أن الله لا يعلم الشيء إلا بعد وقوعه؛ فكفرهم من بقي من الصحابة والتابعون لأجل ذلك، وكان فيمن كفرهم لأجل تلك المقولة عبد الله بن عمر رضي الله عنه وقال كلمته المشهورة: (والله لو أنفق أحدهم مثل أحد ذهبا - يعني في سبيل الله - ما تقبل منه حتى يؤمن بالقدر).

وكان هذا إجماعا. ثم قالت طائفة من غلاة القدرية إن الله تعالى لا يقدر أن يخلق أعمال العباد، ومنهم من قال إن الله لا يخلق أعمال العباد وإنما الخلق لنا، فبدا ضلالهم واضحا وخلافهم شاذا، فرد عليهم الأئمة وألقموهم حجارة، وذلك بعلم ثابت راسخ لا اختلاف فيه ولا تضارب، فقالوا: «العلم لله والقدرة والاستطاعة والخلق لله» وكانت وحدة المشارب هي طريق السلف الصالح رضي الله عنهم في حفظ ميراث الأمة وحفظ دينها، بخلاف تعدد الثقافات وتنوعها واختلاطها فإنه يؤدي إلى تفتت الأمة وفساد أمرها.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى

لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ

بقلم: فهد بن عبد الرحمن اليحيى

قال الله عز وجل- ومن أصدق من الله قيلاً-: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢]، وفي آية الصف: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف: ٨]، ثم أتبع كلاً منهما بقوله جل شأنه: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣].

إن الله عزَّ وجلَّ قدر أن يكون هناك شراذم من الناس تريد أن تُطفئ نور الله، ورسله بالغيب، ولكن هيهات أن يبلغوا ما أرادوا، وحاشا أن يدانوه، فالله يأبى إلا أن يتم نوره ولو كره أولئك.

ثم أكد الله ذلك بالبشرى الثابتة: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ أي: على كل دين، وعلى كل نحلة على وجه الأرض، ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ كل المشركين من عبد غير الله، أو عبد مع الله غيره.

أخرج الإمام أحمد في مسنده عن تميم الداري بسندٍ رجاله ثقات قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر- أي طين- ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز، أو بذل ذليل، عزًا يعز الله به الإسلام، وذلاً يذل الله به الكفر». [المسند: ٤/٤٠٣].

وأخرج الإمام أحمد رحمه الله أيضًا عن المقداد بن الأسود قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يبقى على ظهر الأرض بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله كلمة الإسلام، بعز عزيز، أو ذل ذليل، إما يعزهم الله عز وجل فيجعلهم من أهلها، أو يذلهم فيدينون لها». [المسند: ٦/٤].

هكذا يجب أن يعتقد كل مسلم ؛ وأن يمتلئ به قلبه ؛ فلا ينفك قلبه، واثقًا بالله، واثقًا بنصره، بأن العاقبة لهذا الدين ولو بعد حين.

وإن هذا اليقين يجب أن يتجدد حين تشتد الكربة، ويشتد حين تتجدد الفتن، وتتوالى المصائب، وتعظم الغربة.

روى البخاري عن خباب بن الأرت قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردةً له في ظل الكعبة، قلنا له: ألا تستنصر لنا ألا تدعو الله لنا؟ قال: «كان الرجل فيمن قبلكم يُحفر له في الأرض، فيجعل فيها فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق نصفين، ما يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم، أو عصب، ما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله، أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون».

إن النبي ﷺ وهو في هذه الحال، وصحابته كذلك يقول لخباب بكل ثقة ويقين، ويوصيه بالصبر وعدم الاستعجال، ويضرب له الأمثال ممن سبق ليثبت قلبه، ولقد كان ﷺ بإمكانه أن يدعو لهم بما طلبوه، ويعلم أن الله قادر على ذلك، ولكن لم يكن لمعلم البشرية أن يرضى لحملة دينه أن يتربوا على ذلك، فإن هذا الدين عظيم، وعلى حملته أن يكونوا أَكْفاءً لحمله، فنعم المعلم هو بأبي وأمي ﷺ وما أجدرنا أن نفقه هذا الدرس الذي علمناه.

وإن ذلك لا يعني بحال أن نستكين للباطل، أو نستذل لأهله، وإنما المقصود أن يربي المسلم نفسه على الصبر، وأن يوطنها على توقع المكروه، ما دام قد رضي لنفسه سبيل الأنبياء.

وفي القرآن من نحو هذا المعنى آيات كثيرة، لا حصر لها، غير أنه مما يسترعي نظر المتدبر آيات متشابهة، تؤكد تلك الحقيقة تأتيك في القرآن كلما قرأت جملة من السور أتتك آية كأنها تنبهك لهذا المعنى العظيم، كي لا تغفل عنه لأن حياتك الحقة مرهونة به.

ففي سورة البقرة قال سبحانه: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢١٤] أي: من شدة الكرب ووطأة المحنة ؛ ثم يجيب الله تعالى، أو يجيبهم الرسل: ﴿أَلاَ إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾.

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره (١/٢٥١): ﴿ وَزُلْزِلُوا ﴾ أي: خوفوا من الأعداء زلزالاً شديدًا، وامتحنوا امتحانًا عظيمًا كما جاء في الحديث الصحيح عن خباب... ثم ساق حديثه الذي أوردناه انفًا، ثم قال: وقد حصل من هذا جانب عظيم للصحابة رضي الله تعالى عنهم في يوم الأحزاب كما قال تعالى: ﴿ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا (١٠) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيدًا ﴾ [الأحزاب: ١٠، ١١]، ولما سأل هرقل أبا سفيان: هل قاتلتموه؟ قال: نعم، قال: فكيف كانت الحرب بينكم؟ قال: سجالاً يدال علينا وندال عليه، قال: كذلك الرسل تبتلى، ثم تكون لها العاقبة. انتهى كلام ابن كثير رحمه الله.

وعندما تقرأ سورة آل عمران يأتيك قوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٢].

ثم يرجع هذا المعنى ليوقظ قلبك في سورة «براءة»: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلاَ رَسُولِهِ وَلاَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [التوبة: ١٦].

وترتل أي الكتاب فإذا أنت بفاتحة سورة العنكبوت: ﴿ الم (١) أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ [العنكبوت: ١- ٣].

ثم لا تلبث أن تقرأ في سورة محمد سورة «القتال»: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴾ [محمد: ٣١].

الله أكبر: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ ﴾ وقوله: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا... ﴾ وقوله: ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا... ﴾.

إذًا هذه هي السلعة، وهذا هو الثمن: «حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات»، كما في الصحيح عن أنس وعن أبي هريرة.

وفي خلال تلك الآيات لا يدعك القرآن تنسى البشرى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾ [التوبة: ٣٣]، فيعيدها عليك في ثلاث سور متفرقة في التوبة، وسورة محمد، وسورة الصف، وكأن هذا إشارة إلى أن الأمر بالصبر على الأذى، وربط دخول الجنة به لحظك أيها الإنسان، وإلا فهذا الدين ظاهر فإن لم يظهر بك ظهر بغيرك، والسعيد من ظهر الدين على يديه، أو كان سببًا في ذلك كما قال سبحانه: ﴿ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾ [محمد: ٣٨].

قال ابن جرير رحمه الله: يقول تعالى ذكره: وإن تتولوا، أيها الناس عن هذا الدين الذي جاءكم به محمد ﷺ فترتدوا راجعين عنه يستبدل قومًا غيركم يقول: يهلككم، ثم يجيء بقوم آخرين غيركم بدلاً منكم يصدقون به ويعملون بشرائعه، ثم لا يكونوا أمثالكم، يقول: ثم لا يبخلوا بما أمروا به من النفقة في سبيل الله، ولا يضيعون شيئًا من حدود دينهم، ولكنهم يقومون بذلك كله على ما يؤمرون به. [ابن جرير: ٢٦/٤١].

وقد جمع الله هذه المعاني في سورة «آل عمران» فقال سبحانه: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (١٣٧) هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٨) وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٧- ١٣٩].

فإذا كنتم حقًا مؤمنين، فلا أحد أعلى منكم، ثم يسلي الله أولياءه إذا أصابهم الأذى في سبيله فيقول: ﴿ إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

﴿ إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ ﴾ أي: جروح، ومصائب، فقد مس القوم قرح مثله، وتلك الأيام نداولها بين الناس، ثم ذكر سبحانه الحكمة من ذلك فقال: ﴿ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، فيتميز بذلك المؤمن الحق من المسلم بالاسم.

ثم ذكر الحكمة العظيمة على مستوى الأمة، فقال تعالى: ﴿ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾. فالتمحيص: لا بد منه في الصف الإسلامي، فليس كل من قال: أنا مسلم يصبح أهلاً لحمل هذا الدين العظيم، ﴿ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴾، ثم أعقب ذلك كله بالآية التي أشرنا إليها قبل، فقال: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من المجاهدين في سبيله، ومن الصابرين على ذلك، إنه جواد كريم.

الشيخ مصطفى أحمد ناجي في ذمة الله

توفي إلى رحمة مولاه (بإذن الله) فضيلة الشيخ مصطفى أحمد ناجي النائب السابق لرئيس جماعة أنصار السنة المحمدية بالسودان يوم الجمعة الموافق ٩ شوال ١٤٢٣هـ. إنه العالم الذي طالما أتحفنا بغزارة علمه وحسن معشره ودماثة خلقه وحكمته في تبليغ دعوة الحق بعد صراع طويل مع قوى الباطل والضلالة المنتشرة في بلادنا أعقبه صراع مع المرض أوهن جسده ولكن لم ينل من عزيمته وقوة إرادته. لقد كان حب الدعوة يجري في عروق شيخنا الحبيب مجرى الدم، فكان يكابد الآلام الجسام فبمجرد أن يعتلي المنبر يزول إحساسه بالألم، فيصدع بالحق ويعلي راية التوحيد، تلك هي السعادة الحقيقية التي كان يكابد من أجلها الشيخ الحبيب وينسى معها جميع آلامه وأسقامه. نسأل الله أن يتقبل عمله ويحشره في زمرة الصديقين والشهداء فقد كان نعم المعلم نحسبه كذلك والله حسيبه. ويكفيه أنه ما ذكر التوحيد إلا وذكر الشيخ ناجي فقد كان أول من بدأ الدروس المنهجية لعقيدة التوحيد.

ولد الشيخ ناجي بمدينة سواكن بالإقليم الشرقي سنة ١٩١٥م وتلقى تعليمه الشرعي على يد الشيخ (أبو طاهر محمد السواكني) وهو من علماء الأزهر المعروفين. فدرس عليه التفسير وصحيح البخاري وبلوغ المرام.

وفي عام ١٩٤٥م كون الشيخ ناجي مجموعة للدعوة أطلق عليها اسم (جماعة التوحيد) ولما سمع بجماعة أنصار السنة في أم درمان بادر بالانضمام إليها وعمل في صفوفها وتولى إمامة مسجد المركز العام للجماعة منذ افتتاحه سنة ١٩٥٧م ولمدة تزيد على ثلاثة عقود، وأصبح بذلك خطيب أهم مسجد للجماعة.

لقد كان الشيخ علما من أعلام الدعوة السلفية تميز بغزارة علمه وسلاسة أسلوبه استطاع أن يستقطب الكثير من الشباب إلى الدعوة السلفية من خلال دروسه ومحاضراته التي كان يلقيها بالمركز العام للجماعة، وله الفضل بعد الله عز وجل في تمكين وترسيخ منهج السلف لدى الشباب المسلم وقد تخرج على يديه المئات منهم. وقد عرف الشيخ بالحكمة في التعامل مع خصومة فنال محبتهم وكان لتعامله هذا أكبر الأثر في انضمام الكثير منهم للجماعة كما عرف بالسخاء والإنفاق في سبيل نصرة الدعوة الإسلامية فقد كان ينفق إنفاق الذي لا يخشى الفقر. ولم يسلم الشيخ في مسيرته الدعوية من الابتلاء والمحن حيث زج به في السجون بسبب ادعاءات القبوريين بأنه يسب الأولياء وعند التحقيق معه يظهر زيف القبوريين فيخرج من السجن أكثر شكيمة وعزيمة في بيان أصل التوحيد لقناعته بأن لا مخرج للبشرية إلا بهذه الدعوة. وعندما أصيب بمرضه الأخير فرح القبوريون بذلك وظنوا أن الأولياء قد أصابوه بمكروه، ولن يستطيع أن يعتلي المنبر مرة أخرى فكان يفاجئهم بالصعود إلى المنبر منافحا عن عقيدة التوحيد، فقد كان رحمه الله شوكة في حلوق أهل البدع والخرافة. وبفقده تكون الدعوة الإسلامية فقدت داعية متميزا في أدائه وأسلوبه. ولكن العزاء في أنه خلف إرثًا دعويًا وتلاميذ لهم بصمات واضحة في مسيرة الدعوة إلى الله. وجماعة أنصار السنة المحمدية بمصر عامة ومجلة التوحيد خاصة ندعو الله العلي القدير أن يتغمد الفقيد بواسع رحمته. وأن يجعل مثواه الجنة، وأن يحشره مع النبيين والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقًا. ولا تقول إلا ما يرضي ربنا «إنا لله وإنا إليه راجعون».

محمد فضل محمد البديري

مفتي الحرم

عطاء بن أبي رباح

إعداد: مجدي عرفات

اسمه ونسبه:

هو عطاء بن أبي رباح أسلم شيخ الإسلام أبو محمد القرشي مولاهم المكي مولى لبني جمح، نشأ بمكة، أصله نوبي.

مولده: ولد بالجَنَدَ [بلدة باليمن] أثناء خلافة عثمان، قال: [لما سُئل متى ولدت]: لعامين خلَوا من خلافة عثمان.

شيوخه: روى عن عائشة وأم سلمة وأم هانئ وأبي هريرة وابن عباس فأكثر، وعبدالله بن عمرو وابن عمر وجابر وابن الزبير ومعاوية وأبي سعيد وعدة من الصحابة ومن التابعين، حدث عن عبيد بن عمير ومجاهد وعروة وابن الحنفية وغيرهم كثير.

تلاميذه والرواة عنه

حدث عنه مجاهد بن جبر، وأبو إسحاق السبيعي، وأبو الزبير، وعمرو بن دينار، والقدماء، والزهري، وقتادة، وعمرو بن شعيب، والأعمش، وأيوب السختياني، ويحيى بن أبي كثير، وخلق من صغار التابعين، وأمم كثير غيرهم.

صفته: كان أسود، أعور، أفطس، أشل، أعرج، ثم عمي.

ثناء العلماء عليه

قال ابن سعد: انتهت فتوى أهل مكة إليه وإلى مجاهد وأكثر ذلك إلى عطاء.

قال ابن عباس: يا أهل مكة تجتمعون عليَّ وعندكم عطاء؟!

قال أبو جعفر الباقر: عليكم بعطاء، هو والله خير لكم مني.

وقال: خذوا من عطاء ما استطعتم، وقال: ما بقي على ظهر الأرض أحد أعلم بمناسك الحج من عطاء.

عن إبراهيم بن عمر بن كيسان قال: أذكرهم في زمان بني أمية يأمرون في الحج مناديًا يصيح: لا يفتي الناس إلا عطاء بن أبي رباح، فإن لم يكن عطاء فعبد الله بن أبي نجيح.

قال أبو حازم الأعرج: فاق عطاء أهل مكة في الفتوى.

قال قتادة: قال لي سليمان بن هشام: هل بالبلد- يعني مكة- أحد؟ قلت: نعم، أقدم رجل في جزيرة العرب علمًا، فقال: مَن؟ قلت: عطاء بن أبي رباح.

قال محمد بن عبد الله الديباج: ما رأيت مفتيًا خيرًا من عطاء، إنما كان مجلسه ذكر الله لا يفتر وهم يخوضون، فإن تكلم أو سُئل عن شيء أحسن الجواب.

قال الأوزاعي: مات عطاء بن أبي رباح يوم مات وهو أرضى أهل الأرض عند الناس، وما كان يشهد مجلسه إلا تسعة أو ثمانية.

قلت: لأن العلم صعب على كثير من النفوس فترضى بالوعظ وتمل مجالس

العلماء.

قال ابن حجر: ثقة فقيه فاضل، لكنه كثير الإرسال.

من أحواله وأقواله

قال ابن أبي ليلى: دخلت على عطاء فجعل يسألني، فكأن أصحابه أنكروا ذلك، وقالوا: تسأله؟ قال: ما تنكرون؟ هو أعلم مني.

قلت: هذا هو التواضع ومعرفة الفضل لأهله.

قال إسماعيل بن أمية: كان عطاء يطيل الصمت، فإذا تكلم يخيل لنا أنه يؤيد.

قال ابن جريج: كان المسجد فراش عطاء عشرين سنة، وكان من أحسن الناس صلاة.

قال الأصمعي: دخل عطاء بن أبي رباح على عبد الملك وهو جالس على السرير وحوله الأشراف وذلك بمكة في وقت حجه في خلافته، فلما بصر به عبد الملك قام إليه فسلم عليه وأجلسه معه على السرير وقعد بين يديه، وقال: يا أبا محمد، حاجتك. قال: يا أمير المؤمنين، اتق الله في حرم الله وحرم رسوله فتعاهده بالعمارة، واتق الله في أولاد المهاجرين والأنصار فإنك بهم جلست هذا المجلس، واتق الله في أهل الثغور فإنهم حصن المسلمين، وتفقد أمور المسلمين فإنك وحدك المسئول عنهم، واتق الله فيمن على بابك فلا تغفل عنهم ولا تغلق دونهم بابك، فقال له: أفعل، ثم نهض وقام، فقبض عليه عبد الملك وقال: يا أبا محمد، إنما سألتنا حوائج غيرك، وقد قضيناها فما حاجتك، قال: ما لي إلى مخلوق حاجة، ثم خرج، فقال عبد الملك: هذا وأبيك الشرف، هذا وأبيك السؤدد.

قُلْتُ: إن كان يقصد قَسَمًا فهو بغير الله ولا يجوز، أو هي كلمة تجري على اللسان من غير قصد اليمين.

قال عبد العزيز بن رفيع: سُئل عطاء عن شيء، فقال: لا أدري، قيل: ألا تقول برأيك، قال: إني أستحيي من الله أن يدان في الأرض برأيي.

قال عطاء: إن من قبلكم كانوا يعدون فضول الكلام ما عدا كتاب الله أو أمر بمعروف أو نهي عن منكر أو أن تنطق في معيشتك التي لا بد لك منها، أتنكرون أن عليكم حافظين كرامًا كاتبين، عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد، أما يستحي أحدكم لو نُشرت صحيفته التي أملى صدر نهاره وليس فيها شيء من أمر آخرته.

قال ابن جريج: لزمت عطاءً ثماني عشرة سنة وكان بعدما كبر وضعف يقدم إلى الصلاة فيقرأ مائتي آية من البقرة وهو قائم لا يزول منه شيء ولا يتحرك.

قال ابن جريج عنه: إن الرجل ليحدثني بالحديث فأنصت له كأني لم أسمعه وقد سمعته قبل أن يولد.

قال عطاء: لو ائتمنت على بيت مال لكنت أمينًا، ولا آمن نفسي على أَمَةٍ شوهاء.

قال الذهبي: صدق- رحمه الله- ففي الحديث: «ألا لا يخلون رجل بامرأة فإن ثالثهما الشيطان». [صحيح. رواه أحمد والترمذي من حديث ابن عمر].

قال عمر بن ذر: ما رأيت مثل عطاء بن أبي رباح، ما رأيت عليه قميصًا قط ولا رأيت عليه ثوبًا يساوي خمسة دراهم.

وفاته

توفي رحمه الله سنة أربع أو خمس عشرة ومائة، وعاش ثمانية وثمانين سنة، رحمه الله.

المراجع

*سير أعلام النبلاء
*تهذيب الكمال
*تقريب التهذيب

من نور كتاب الله

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١].

من هدي رسول الله ﷺ

عن أبي قتادة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سُئل عن صوم يوم الاثنين، فقال: «ذلك يوم وُلدت فيه، ويوم بُعثت، أو أُنزل عليَّ فيه». [مسلم (١١٦٢)].

من أقوال السلف

قال ابن مسعود رضي الله عنه: سألت حذيفة الوصية، فقال: إياك والتلون في أمر الله، وإياك وما تنكر، وعليك بما تعرف. [«التنبيه والرد» (ص٨٤)].

قال أبو العالية الرياحي: تعلموا الإسلام، فإذا علمتموه فلا ترغبوا عنه، وعليكم بالصراط المستقيم، فإن الصراط المستقيم الإسلام، ولا تحرفوه يمينًا ولا شمالاً، وعليكم بسنة نبيكم وأصحابه. [«التنبيه والرد» (ص٨٤)].

وقال حذيفة: «يد الله مع الجماعة، شذ من شذ عنها». [«التنبيه والرد» (ص٨٣)].

حكم ومواعظ!!

قال الحسن البصري: لا تكن ممن يجمع علم العلماء وحكم الحكماء ويجري في الحق مجرى السفهاء. [«الزهد» (ص٩١)].

وعنه قال: «ما أكثر عبد ذكر الموت إلا رأى ذلك في عمله، ولا طال أمل عبد قط إلا أساء العمل». [«الزهد» (ص٢١)].

وكان يقول: من عرف ربه أحبه وآثر ما عنده، ومن عرف الدنيا وغرورها ؛ زهد فيها.

من نوادر القضاة!!

عن عطاء قال: أتي علي رضي الله عنه برجل، وشهد عليه رجلان أنه سرق، فأخذ في شيء من أمور الناس، وتهدَّد شهود الزور، قال: لا أوتى بشاهد زور إلا فعلت به كذا وكذا، ثم طلب الشاهدين فلم يجدهما فخلى سبيله. [«تاريخ الخلفاء» (ص٢١٢)].

من أخلاق السلف!!

عن حرملة قال: سمعت ابن وهب يقول: «نذرت أني كلما اغتبت إنسانًا أن أصوم يومًا، فأجهدني، فكنت: أغتاب وأصوم، فنويت أني كلما اغتبت إنسانًا أن أتصدق بدرهم، فمن حب الدراهم تركت الغيبة». [«سير أعلام النبلاء» (٩/٢٢٨)].

تأويلات فاسدة!!

إنكارهم لعرش الرحمن أن يكون سريرًا للملك كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾، فهذا من أبطل الباطل ؛ لأنه ليس لعرش الرحمن الذي استوى عليه في هذه الآيات وفي هذا السياق وفي هذا التركيب إلا معنى واحد: وهو عرش الرب الرحمن تبارك وتعالى هو سرير ملكه الذي اتفقت عليه الرسل وأتت به الأمم، وأن العرش أعظم من جميع المخلوقات، وأنه شيء حسي لا معنوي. [«التنبيهات السنية» (ص٩٢)].

وصايا إلى طلاب العلم

المناظرة بلا مماراة!!

إياك والمماراة فإنها نقمة، أما المناظرات في الحق فإنها نعمة ؛ إذ المناظرة الحقة فيها إظهار الحق على الباطل، والراجح على المرجوح، فهي مبنية على المناصحة، والحلم ونشر العلم، أما المماراة في المحاورات والمناظرات فإنها تحجج ورياء ولغط وكبرياء واختيال وشحناء، ومجاراة للسفهاء فاحذرها واحذر فاعلها.

مصطلحات تهم طلاب العلم!!

المراسيل وهي المصادر التي تحتوي على الأحاديث التي سقط منها الصحابي، وتروى بإسناد مؤلفيها. [«مقدمة ابن الصلاح» (ص٢٦)].

من أخطاء المصلين!!

الصلاة في المساجد التي بها قبور والصحيح عدم الصلاة في هذه المساجد ؛ لقوله ﷺ: «لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد».

من خوارم المروءة!!

سؤال الناس

سؤال الناس عيب ونقص في الرجل، وذلة تنافي المروءة إلا في العلم، فإنه عين كماله ومروءته وعزّه، كما قال بعض أهل العلم، خير خصال الرجل السؤال عن العلم. [«مفتاح دار السعادة» (١٦٨/١)].

من درر العلماء!!

قال ابن تيمية، رحمه الله: بالرسول ﷺ عرفت أسماء الله وصفاته، وما يستحقه من الأسماء الحسنى والصفات العلى، تارة بما بينه من الأمثال التي هي مقاييس عقلية وتارة بما يخبر به من الأنباء الصادقة النبوية، وتارة بما يقصه عن الأنبياء الذين هم خير البرية.

وبه عُرفت الملائكة والنبيون والجنة والنار، وقصص الأنبياء وأخبار الدنيا وملاحمها وفتنها وأشراط الساعة وعلاماتها وأخبار القيامة وتفاصيلها وغير ذلك. [«كتاب الاستقامة» (ص٢٣٩)].

الدين النصيحة!!

قال ابن رجب: من عُرف منه أنه أراد برده على العلماء النصيحة لله ورسوله فإنه يجب أن يعامل بالإكرام والاحترام والتعظيم كسائر أئمة المسلمين الذين كان يرد على المخطئ منهم، ومن عرف أنه أراد برده عليهم التنقيص والذم وإظهار العيب فإنه يستحق أن يقابل بالعقوبة ليرتدع هو ونظراؤه عن هذه الرذائل المحرمة.

[«الفرق بين النصيحة والتعيير» (٣٦)].

أقوال

إعداد: د. طلعت زهران

المرور بين يدي المصلي وتخطي الرقاب في صلاة الجمعة!!

يحرم المرور بين يدي المصلي، ويجب على المصلي أن يتخذ سترة لصلاته، كأن يصلي إلى جدار، قال ﷺ: «إذا صلى أحدكم فليصل إلى سترة وليدن منها ولا يدع أحدًا يمر بين يديه، فإن جاء أحد فليقاتله فإنما هو شيطان». [صحيح. رواه الشيخان (٦٤١)].

وقال ﷺ: «لو يعلم المار بين يدي المصلي ماذا عليه لكان أن يقف أربعين خيرًا له من أن يمر بين يديه». [صحيح. رواه الشيخان (٥٣٣٧)].

وللأسف فإن كثيرًا من الناس يتجاهلون هذا الأمر، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وعن الأرقم بن الأرقم قال النبي ﷺ: «إن الذي يتخطى رقاب الناس يوم الجمعة ويفرق بين الاثنين بعد خروج الإمام جارٌّ قصبه في النار». [رواه أحمد].

ومن هديه ﷺ أن يصلي ركعتين تحية المسجد، وإن كان الخطيب على المنبر، أما ما يفعله الناس عندما يرون الخطيب يجلس بين الخطبة الأولى والثانية فيقومون لصلاة السنة فجهل وبدعة، وسنة الجمعة بعد الصلاة تصلى أربع ركعات.

دخول المساجد لمن أكل بصلاً أو ثومًا أو نحو ذلك!!

قال ﷺ: «من أكل من هذه الشجرة- يعني الثوم- فلا يقربن مساجدنا». [متفق عليه].

وقال ﷺ: «من أكل من هذه الشجرة فلا يقربنا ولا يصلين معنا». [صحيح. رواه الشيخان].

وقال ﷺ: «إياكم وهاتين البقلتين أن تأكلوهما وتدخلوا مساجدنا، فإن كنتم ولابد آكليها فاقتلوهما بالنار قتلاً». [متفق عليه].

وقال ﷺ: «من أكل البصل والثوم والكراث فلا يقربن مسجدنا، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم». [رواه مسلم].

إن هذه الأحاديث تثبت النهي عن دخول المسجد لمن أكل شيئًا له رائحة مكروهة، فلا شك أنه يستلزم منع دخول المساجد لمن يشرب الدخان لنتن رائحة الفم، وهي أشد من رائحة البصل والثوم.

الصلاة في الثوب الرقيق، أو الضيق

إذا كان الثوب شفافًا أو رقيقًا يحدد العورة من تحته فلا يصح فيه الصلاة من الرجل إلا أن يكون تحته سروال أو إزار يستر ما بين السرة إلى الركبة، وأما المرأة فلا تصح صلاتها في مثل هذا الثوب إلا أن يكون تحته ما يستر بدنها كله.

أما عن لبس الرجل البنطال الضيق والصلاة فيه فقال الشيخ الألباني: إنه

واعتقادات خاطئة

يبطل الصلاة، حيث إنه يحدد ويجسم ويصف العورة وخاصة في حالة الركوع والسجود، ولعل ذلك إذا كان البنطلون في غاية الضيق يجسد العورة بارزة كملابس لاعبي السيرك وراقصي الباليه، والراجح عند الجمهور صحة الصلاة مع الكراهة، وهذا أقرب.

استخدام ورق الجرائد والكتب في لف الأشياء

لا يجوز استعمال ورق الجرائد والكتب في لف الأشياء، أو في مسح القاذورات، أو إلقاء هذه الأوراق في سلة المهملات والفضلات أو إلقائها على الأرض، كما هو منتشر وشائع، حيث إن هذه الأوراق قد لا تخلوا من آية قرآنية أو اسم من أسماء الله، وحيث إن كثيرًا من الناس يسمون عبدالله وعبدالرحمن وغيره كثيرًا، أو قد يكون بها حديث من الأحاديث الشريفة.

خرافة لا أساس لها!!

الاعتقاد بأنه إذا قتل إنسان في مكان يخرج عفريت له يتمثل للناس ليلاً ويخيفهم، وهذه خرافة لا أساس لها، إنما هي أوهام، قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦].

اعتقاد خاطئ!!

الاعتقاد بأن هناك ساعة نحس في يوم الجمعة، هذا اعتقاد خاطئ، قال ﷺ: «أفضل الأيام عند الله يوم الجمعة». [صحيح. رواه البيهقي (١٠٩٨)].

وقال ﷺ: «يوم الجمعة ثنتا عشرة ساعة، منها ساعة لا يوجد عبد مسلم يسأل الله فيها شيئًا إلا آتاه الله إياه، فالتمسوها آخر ساعة بعد العصر». [صحيح. رواه أبو داود (٨١٩٠)].

«كسر الإناء أخذ الشر وراح»!!

الاعتقاد بأن الإناء إذا كسر فإنه أخذ الشر وراح ؛ هذا ليس صحيحًا فإن كسر الإناء لم يأخذ الشر ولا الخير، فالأمور كلها مقدرة بقدر الله، والصواب أن نقول: قدر الله وما شاء فعل.

الزواج في شهر المحرم!!

الاعتقاد بأن الزواج في شهر المحرم حرام؛ هذا اعتقاد خاطئ، حيث إن الزواج جائز في أي وقت، وكذلك الاعتقاد بأن الزواج في شهر شوال يورث الضنك والنزاع، فهذه عائشة رضي الله عنها تزوجها رسول الله ﷺ في شوال، ولم يكن هناك من النساء من هي أحب إليه منها.

هذا من الخرافات!!

الاعتقاد بأن كنس المنزل بالليل يورث الفقر، هذا من الخرافات، ومنها أيضًا ترك بعض الناس تنظيف البيت وكنسه عقب سفر أحد من أهله تشاؤمًا وظنًا أن ذلك إن حدث فلن يرجع المسافر، وكذلك منع إبرة الخياطة والمنخل ليلاً.

من عقيدة القرآن والسنة

الرحمن على العرش استوى

بقلم / د. محمد خليل هراس - رحمه الله -

بين يدي المقال

في أوائل القرن الثاني من الهجرة ظهر رواد المذاهب المنحرفة في فهم العقيدة الإسلامية التي خالفت أهل السنة والجماعة متأثرة بما نقل إليها من فلسفات اليونان وسائر أهل الكفر فتكون منها منهجان منحرفان:

الأول: مذهب التأويل الذي يقول به المعتزلة حيث يجعلون العقل حاكما على نصوص الشرع فيوجبون تأويل نصوص الشرع لتوافق - كما يزعمون - العقل.

ولست أدري أي عقل يحاكم النص الشرعي؟ والعقول تتفاوت بل ما فائدة الوحي إذا كان العقل هو الحاكم عليه؟.

الثاني: مذهب المشبهة وهم الذين بالغوا في إثبات الصفات حتى شبهوا الخالق سبحانه بالمخلوق.

ثم ظهر مذهب ثالث تزعمه (عبد الله بن كلاب) حاول التوفيق بين مذهب المعتزلة ومذهب أهل السنة، وإلى هذا المذهب ينتسب الأشاعرة اليوم ذلك لأن الأشعرى كان في آخر حياته على مذهب أهل السنة والجماعة وله في ذلك كتاب الإبانة ومقالات الإسلاميين.

ونحن ننقل هنا مقالا جيدا للشيخ الجليل محمد خليل هراس رحمه الله حول مذهب أهل السنة والجماعة في الاستواء.

يقول الشيخ:

العلم أن أهل الإثبات بحمد الله عندهم من هذه النقول ما يملأ مجلدات، وهم لا ينقلون إلا عن كل إمام ثقة في علمه ودينه من سلف الأمة، الذين هم أكملها علما وإيمانا، وأبرها قلوبا وأقلها تكلفا وأهداها سبيلا.

وإليك أيها القارئ طائفة من الحجج والبينات التي يعتمد عليها أهل الحق والإثبات في هذا الباب لكي تدرك الفرق بين ما يسوقه المعطلة من شبه واهية ساقطة، وبين ما يستند إليه أهل الحق من أدلة ناصعة قاطعة.

فمن الكتاب العزيز نسوق هذه الآيات البينات التي لا تقبل جدلا ولا تحتمل تاويلا إلا عند من في قلوبهم زيغ، ممن يصرفونها عن معانيها المفهومة منها، إلى مالا تحتمله من المعاني الفاسدة، جريا وراء أهوائهم، فيحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون على الله بغير علم.

١ - أخبر الله عز وجل في سبعة مواضع من كتابه، أنه استوى على العرش، ولا معنى لذلك أبدا إلا علوه وارتفاعه عليه، كما فسره بذلك مجاهد وأبو العالية وغيرهما من أئمة التفسير، كما رواه عنهم الإمام البخاري في صحيحه عند رده على الجهمية والمعطلة. بالقصور فإن اللغة التي نزل بها القرآن لم تستعمل قط لفظ الاستواء متعديا بعلى إلا بمعنى العلو والارتفاع ونحن نتحدى أن يأتي أحد بنقل صحيح عمن يعتد بهم في لغة العرب أنه ذكر للاستواء معنى غير ذلك.

وأما تأويله بالاستيلاء على العرش استنادا إلى قول الشاعر المجهول:

قد استوى بشر على العراق
بغير سيف أو دم مهراق

فهو من أسمج التأويلات وأشدها فسادا إذ يقتضي أن العرش كان في حوزة غيره سبحانه، فلما خلق السموات والأرض ملكه واستولى عليه، مع أنه سبحانه لم يزل مستويا على العرش وعلى الملك كله منذ خلقه، وأيضا لو كان الاستواء بمعنى الاستيلاء كما يزعمون لما كان للاستواء معنى خاصا بالعرش، بل لجاز أن

يقال استوى على الأرض، كما يقال استوى على العرش. إذ هو مستول عليها كاستيلائه على العرش.

وليس فى استيلائه على العرش معنى يمدح به، فإن العرش لا يعدو أن يكون من جملة مخلوقاته، وإنما يظهر المدح في ارتفاعه وعلوه عليه لتدبير أمور خلقه، كما قال من سورة يونس عليه السلام (ثم استوى على العرش يدبر الأمر).

٢ ـ سمى الله عز وجل نفسه في كتابه بأنه (العلي والأعلى والمتعال) وإطلاق هذه الأسماء يقتضي ثبوت كمال العلو له سبحانه، بأن يكون العلو ثابتا من كل وجه فيتناول علو ذاته فوق خلقه، وعلو مكانته وقدره وعلو غلبته وقهره. فمن خص علوه ببعض هذه المعاني دون بعض فقد قيد ما أطلق الله، ونقص من معنى العلو الذي هو صفة كمال بغير حجة.

٣ ـ أخبر الله عز وجل أن بعض الأشياء تنزل من عنده كقوله في شأن القرآن الكريم ﴿قل نزله روح القدس من ربك بالحق﴾ وقوله ﴿تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين﴾ كما أخبر أن بعض الأشياء تصعد إليه، كقوله سبحانه ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾ ﴿تعرج الملائكة والروح إليه﴾ ﴿يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي﴾ ﴿بل رفعه الله إليه﴾ فكيف يتحقق أن يكون سبحانه مبدأ لما ينزل أو منتهى لما يصعد، إذا لم يكن عاليا على خلقه. وإذا كان لا يليق بأحد منا أن يقول لغيره ائت إلي في مكان كذا، ثم يذهب فلا يجده هناك، أليس ذلك غشا وتضليلا يتنزه عنه أحكم الحاكمين.

٤ ـ أخبر الله سبحانه أنه في السماء بقوله في سورة الملك ﴿أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور. أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير﴾ فهل هناك أصرح في إثبات علوه تعالى على خلقه، من إخباره عن نفسه بأنه في السماء أي في تلك الجهة؟ وهل يليق بأحد من العقلاء أن يقول أنا في البيت أو في المسجد من غير أن يكون فيه؟ وما الذي يدعوه سبحانه إلى أن يثبت لنفسه ما ليس بثابت، بل ما هو في زعمكم مستحِيل الثبوت؟ ومن العجيب أن هاتين الآيتين قد سيقتا في معرض التهديد والوعيد لإحداث الخشية والمهابة، فإذا لم يكن هو سبحانه في السماء كما أخبر، فأى معنى لذلك التهديد وهل يبقى له فى النفس أثر؟

٥ ـ قال الله تعالى في شأن الملائكة ﴿يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون﴾ ولا شك أن لفظ الفوق إذا جاء مجرورا (بمن) لا يفهم منه إلا فوقية المكان، كما في قوله تعالى: ﴿إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم﴾ وكقوله: ﴿قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم﴾ الآية وإذا لم تكن هذه فوقية مكان فما عسى أن تكون؟ لعلكم تقولون أنها فوقية قهر وقدرة، فما الموجب لصرفها عن حقيقتها؟ وأي مدح في تلك الفوقية مع أن قدرته على الخلق كلهم ليست محل شك.

ألم تر أن السيف ينقص قدره
إذا قيل إن السيف أمضى من العصا

٦ ـ أخبر الله سبحانه عن بعض الأشياء أنها عنده، كقوله عن الملائكة ﴿إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون﴾ ﴿ومن عنده لا يستكبرن عن عبادته ولا يستحسرون﴾.

وكقوله عن أهل الجنة ﴿إن المتقين في جنات ونهر. في مقعد صدق عند مليك مقتدر﴾ ﴿لهم ما يشاءون عند ربهم﴾ وكقوله حكاية عن امرأة فرعون ﴿رب ابن لي عندك بيتا في الجنة﴾ فما معنى هذه العندية إذا لم تقتض المجاورة والقرب؟ وإذا كانت كل الأشياء سواء بالنسبة إليه سبحانه، لا تفاوت بينها بالقرب والبعد، كما يزعم هؤلاء المعطلة: أن محمدا وهو عند سدرة المنتهى لم يكن أقرب إلى الله من يونس وهو في بطن الحوت، فكيف يصح تخصيص بعض الأشياء بكونها عنده؟

٧ ـ قال الله تعالى في شأن فرعون ﴿وقال

فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب. أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى وأني لأظنه كاذبا﴾ فمن الذي أخبر فرعون بأن إله موسى في السماء، حتى أمر هامان ببناء الصرح ليصل إليه؟ لا شك أن الذي أخبره بذلك هو موسى عليه السلام نفسه، بدليل قول فرعون بعد ذلك ﴿وإني لأظنه كاذبا﴾ أي فيما أخبرني به من أن إلَهَهُ في السماء. ولا يعقل أن يكون فرعون فعل ذلك من عند نفسه لأنه نفى أن يكون معه إله غيره، فكيف يفترض وجود إله أعلى منه في السماء؟

٨ - أخبر الله عز وجل أنه يجيء يوم القيامة لفصل القضاء بين عباده، كما في قوله ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظل من الغمام والملائكة وقضي الأمر﴾ وكقوله: ﴿وجاء ربك والملك صفا صفا﴾.

فمن أين يجيء الرب جل شأنه، هل يجيء من أمامهم أم من خلفهم أم عن أيمانهم أم عن شمائلهم أم من تحتهم؟.

وإذا كانت كل هذه الجهات الخمس لا تصلح أن يأتي منها الرب فلم يبق إلا أن يأتيهم من فوقهم سبحانه وتعالى.

ونكتفي بهذا القدر من آيات الكتاب العزيز ففيه لطالب الهدى كفاية ومقنع. وننتقل إلى السنة المطهرة التي أثبتت ما أثبته الكتاب، ولم يرد فيها أصلا نفي أو تأويل لما ورد فيه من الصفات. وسنجتزئ منها بالصحيح خوفا من التطويل وحتى لا نفتح المجال لقال أو لقيل.

١ - منها حديث معاوية بن الحكم السلمي قال: «كانت لي غنم بين أحد والجوانية فيها جارية لي فأطلقتها ذات يوم فإذا الذئب قد ذهب منها بشاة، وأنا رجل من بني آدم، فأسفت فصككتها فأتيت النبي ﷺ فذكرت له ذلك فعظم ذلك عليَّ، فقلت يا رسول الله أفلا أعتقها؟ فقال: دعها، فدعوتها، فقال لها: «أين الله؟» قالت: في السماء، قال: «من أنا؟» قالت: أنت رسول الله، قال: «أعتقها فإنها مؤمنة» أخرجه مسلم وأبو داود والنسائي.

٢ - ومنها حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج إليه الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم، كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون» متفق عليه.

٣ - حديث جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال في خطبته يوم عرفة: «ألا هل بلغت» فقالوا نعم، يرفع اصبعه إلى السماء وينكتها إليهم ويقول: «اللهم اشهد» أخرجه مسلم.

٤ - حديث أبي هريرة «إن الله لما قضى الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش: إنَّ رحمتي سبقت غضبي».

٥ - حديث أبي سعيد الطويل في الخوارج قال: قال رسول الله ﷺ «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء».

٧ - حديث أنس بن مالك أن زينب بنت جحش كانت تفخر على أزواج النبي ﷺ تقول: «زوجكن أهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سموات». وفي لفظ أنها قالت للنبي ﷺ «زوجنيك الرحمن من فوق عرشه». صحيح رواه البخاري.

٨ حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشه فتأبى عليه، إلا كان الذي في السماء ساخطا عليها» أخرجه مسلم.

٩ - حديث أبي هريرة أيضا قال رسول الله

ﷺ: «من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب، ولا يصعد إلى الله إلا الطيب، فإنه يتقبلها بيمينه ويربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه حتى تصير مثل الجبل» أخرجه البخاري.

١٠ - حديث سعد بن أبي وقاص أن النبي ﷺ قال لسعد بن معاذ يوم بني قريظة: «لقد حكمت فيهم بحكم الملك من فوق سبع سموات».

١١ - حديث قتادة عن أنس عن النبي ﷺ قال في حديث الشفاعة الطويل: «فأستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه».

وفي رواية «فآتى باب الجنة فيفتح لي فآتى ربي تبارك وتعالى وهو على كرسيه أو سريره فأخر له ساجدا».

١٢ - حديث أبي هريرة وغيره في نزول الرب تبارك وتعالى وهو حديث متواتر ولفظه: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: «من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟ فلا يزال هكذا حتى يطلع الفجر». وقد ورد في بعض الروايات «لا أسأل عن عبادي غيري» فهل يعقل نزول. إلا ممن هو عال؟ لكن بعض العلماء يمارون في حديث النزول ويعترضون عليه بأن في كل لحظة من الزمان ثلث ليل آخر، فهلا اعترضوا بذلك على قائله؟ عليه الصلاة والسلام؟!

وإذا كان هذا هو مبلغ إيمان هؤلاء بكلام نبيهم، فماذا نملك نحن لهم؟ اللهم إنها فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء.

١٣ - حديث الاسراء والمعراج، وهو متواتر أيضا، وفيه «ودنا الجبار فتدلى حتى كان قاب قوسين أو أدنى» وفيه أيضا أن موسى قال لنبينا عليهما الصلاة والسلام «ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف» وأن النبي ﷺ قال: «مازلت أرجع بين ربي وبين موسى».

ونجتزئ بهذا القدر من السنة المطهرة، وكلها أحاديث متونها وأسانيدها كالشمس في الإشراق، ولكن المعطل الجاحد بما في قلبه من غرض التعطيل لا يسيغها بل يشرق بها.

ومن يك ذا فم مر مريض
يجد مرا به الماء الزلالا

وأورد بعد ذلك ما يتسع له المجال من كلام الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة الهدى الذين هم أعرف بالله ودينه وكتابه، وأشد تنزيها له من هؤلاء النافين الجاحدين.

١ - أخرج البخاري في تاريخه من حديث نافع عن ابن عمر قال: «لما قبض رسول الله ﷺ قال أبو بكر رضي الله عنه «أيها الناس: إن كان محمد إلهكم الذي تعبدون فإنه قد مات، وإن كان إلهكم الذي في السماء، فإن إلهكم لم يمت».

٢ - قال عمر رضي الله عنه في شأن خولة بنت ثعلبة «هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سموات».

٣ - قال عبد الرحمن بن غنم: سمعت عمر بن الخطاب يقول: «ويل لديان الأرض من ديان السماء يوم يلقونه، إلا من أمر بالعدل فقضى بالحق ولم يقض على هوى ولا على قرابة ولا على رغبة ورهبة، وجعل كتاب الله مرآة عينيه».

٤ - روى عاصم عن زر بن حبيش عن ابن مسعود قال «العرش فوق الماء والله فوق العرش لا يخفى عليه شيء من أعمالكم».

٥ - وصح عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «من قال سبحان الله والحمد لله والله أكبر، تلقاهن ملك فعرج بهن إلى الله فلا يمر بملأ من الملائكة إلا استغفروا لقائلهن، حتى يجيء بهن وجه الرحمن عز وجل».

٦ - وصح عنه كذلك أنه قال: «إن العبد ليهم بالأمر من التجارة والإمارة حتى إذا تيسر له، نظر الله إليه من فوق سبع سموات، فيقول للملائكة اصرفوه عنه فإنه إن يسرته له أدخلته النار».

٧ - وصح عن عائشة أنها قالت يوم قتل عثمان: «وايم الله إني لأخشى لو كنت أحب قتله لقتلت، ولكن علم الله فوق عرشه أني لم أحب قتله».

٨ - روى الحسن عن أمه عن أم سلمة رضي الله عنها في قوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ قالت الكيف غير معقول والاستواء غير مجهول والإقرار به إيمان والجحود به كفر»

وهذا القول محفوظ كذلك عن ربيعة الرأي ومالك بن أنس وغيرهما.

٩ - كان مسروق إذا حدث عن عائشة يقول: «حدثتني الصديقة بنت الصديق حبيبة حبيب الله المبرأة من فوق سبع سموات».

١٠ - قال نوف البكالي - من وعاظ التابعين -: «إن موسى عليه السلام لما سمع كلام الله قال: من أنت الذي يكلمني؟ قال: أنا ربك الأعلى».

١١ - وروى اللالكائي عن ثابت البناني قال: «كان داود يطيل الصلاة ثم يرفع رأسه إلى السماء ويقول إليك رفعت رأسي، نظر العبيد إلى أربابها، يا ساكن السماء».

١٢ - روى مقاتل بن حيان عن الضحاك في قوله تعالى: ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم﴾ قال: «هو على عرشه وعلمه معهم - وفي لفظ - هو فوق العرش وعلمه معهم حيث كانوا».

١٣ - قال الحكم بن عبد الله البلخي صاحب الفقه الأكبر: سألت أبا حنيفة عمن يقول: لا أعرف ربي في السماء أو في الأرض. فقال قد كفر. لأن الله تعالى يقول: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ وعرشه فوق سمواته. فقلت: إنه يقول: أقول على العرش استوى ولكن قال: لا يدرى العرش في السماء أو في الأرض. فقال إذا أنكر أنه في السماء فقد كفر.

١٤ - قال الأوزاعي إمام أهل الشام «كنا، والتابعون متوافرون، نقول إن الله عز وجل فوق عرشه ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته».

١٥ - روى البيهقي بإسناده عن مقاتل بن حيان وهو إمام ثقة في قوله تعالى: ﴿هو الأول والآخر﴾ قال هو الأول قبل كل شيء، والاخر بعد كل شيء، والظاهر فوق كل شيء، والباطن أقرب من كل شيء، وإنما قربه بعلمه وهو فوق عرشه.

١٦ - روي عن سفيان الثوري أنه قال في أحاديث الصفات «أمرها كما جاءت بلا كيف».

١٧ - روى عبد الله بن رافع عن مالك إمام دار الهجرة أنه قال: «الله في السماء وعلمه في كل مكان لا يخلو منه شيء».

١٨ - روي عن علي بن الحسن بن شقيق أنه قال: قلت لعبد الله بن المبارك: كيف نعرف ربنا عز وجل؟ قال في السماء السابعة على عرشه، ولا نقول كما تقول الجهمية: أنه هاهنا في الأرض.

١٩ - روي من طريق صحيح عن الشافعي رحمه الله أنه قال: «القول في السنة التي أنا عليها ورأيت الذين رأيتهم، مثل سفيان ومالك وغيرهما: إقرار بشهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وأن الله على عرشه في سمائه يقرب من خلقه كيف شاء، وينزل إلى السماء الدنيا كيف شاء».

٢٠ - روى أبو بكر الخلال قال: قيل لأبي عبد الله - يعني أحمد بن حنبل رحمه الله: الله فوق السماء السابعة على عرشه بائن من خلقه وقدرته وعلمه في كل مكان؟ قال نعم هو على عرشه ولا يخلو شيء من علمه.

ويتعب القلم وينفد المداد لو حاولنا إحصاء كل ما روي عن هؤلاء الأئمة الأعلام، حفاظ السنة وقامعي البدعة، فلنكتف بهذا القدر الآن. فإنما أردنا به أن يتبين طلاب الحق أين هو؟ أهو في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وكلام صحابته والتابعين لهم، وأئمة الهدى في كل عصر وزمان؟ أم هو في قول جهم بن صفوان وأشياعه وتلاميذه في التعطيل والنكران، والله هو وحده المستعان وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

رجال مؤمنون ونساء مؤمنات

سهيل بن عمرو

بقلم / فتحي عثمان

من دلائل النبوة

لما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة، بعد أن نصره الله في بدر (يوم الفرقان) استشار أصحابه فيما يفعل بالأسرى من قريش، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «يا رسول الله قد كذبوك وقاتلوك وأخرجوك فأرى أن تمكنني من فلان.فاضرب عنقه، وتمكن فلانا من فلان وسمى رجالا. وهكذا حتى يعلم الناس أنه ليس في قلوبنا مودة للمشركين».

على حين قال أبو بكر - رضي الله عنه -: «يا رسول الله هؤلاء أهلك وقومك قد أعطاك الله الظفر والنصر عليهم، وأرى أن تستبقيهم وتأخذ الفداء منهم فيكون ما أخذنا منهم قوة لنا على الكفار..».

وقد أخذ رسول الله ﷺ برأي أبي بكرٍ وقَبِل الفِدَاء منهم. وكان من الأسرى يومئذ، سهيل بن عمرو وكان من خطباء قريش وفُصَحَائها وطالما آذى المسلمين بلسانه، فقال عمر بن الخطاب: «دعني يا رسول الله أنزع ثَنِيتي سهيل يدلع(١) لسانه فلا يقوم عليك خطيبًا في موطن أبدًا.

فقال رسول الله ﷺ: «لا أمثل فيمثل الله بي وإن كنت نبيا، دعه يا عمر، فعسى أن يقوم مقامًا لا تذمه» - وفي رواية: «تَحْمَدُه عليه» فكان ذلك المقام أن رسول الله ﷺ لما توفي ارتجت مكة، لما رأت قريش من ارتداد العرب، فقام سهيل بن عمرو خطيبا، فقال يا معشر قريش لا تكونوا آخر من أسلم وأول من ارتد، والله إن هذا الدين ليمتدن امتداد الشمس والقمر من طلوعهما إلى غروبهما... وتوكلوا على ربكم فإن دين الله قائم وكلمته تامة، وإن الله ناصر من نصره ومقر دينه، وقال في كلام طويل مثل كلام أبي بكر في ذكر وفاة النبي ﷺ. من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ألم تعلموا أن الله قال: «إنك ميت وإنهم ميتون» فتراجع الناس عما كانوا عزموا عليه. وكان هذا الخبر من دلائل النبوة.

وقد ذكر محمد بن سعد عن الواقدي، عن سعيد بن مسلم، قال: لم يكن أحد من كبراء قريش الذين تأخر إسلامهم فأسلموا يوم الفتح، أكثر صلاة ولا صومًا ولا صدقة، ولا أقبل على ما يقيه من أمر الاخرة، من سهيل بن عمرو.

وكان سهيل بن عمرو يذكر دائما المعاملة الحسنة التي كان يعامله بها رسول الله ﷺ فيقول عن نفسه: «فقد شهدت مواطن كلها أنا فيها معاند للحق، يوم بدر، ويوم أحد، ويوم الخندق، وأنا وُلِّيت أمر الكتاب يوم الحديبية فإني لأذكر مراجعتي رسول الله يومئذ، وما كنت أُلِظُّ(٢) به من الباطل، فأستحيي من رسول الله وأنا بمكة، وهو يومئذ بالمدينة.

ولعل سهيل بن عمرو يشير بذلك إلى ما كان منه مع رسول الله ﷺ عندما أرسلته قريش ممثلا عنهم ليكتب بينهم وبين المسلمين كتاب الصلح. فقد جلس إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام وقال: هات أكتب بيننا وبينكم كتابًا. فدعى النبي ﷺ الكاتب (وكان الكاتب عليًا رضي الله عنه - فيما رواه مسلم) فقال النبي ﷺ: أكتب «بسم الله الرحمن الرحيم» فقال سهيل أما «الرحمن» فوالله ما أدري ما هي، ولكن اكتب باسمك اللهم، فقال المسلمون: والله لا نكتب إلا باسم الله الرحمن الرحيم، فقال النبي ﷺ: «اكتب باسمك اللهم» ثم قال هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله.

فقال سهيل: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب محمد بن عبد الله. فقال رسول الله، والله إني لرسول الله وإن كذبتموني... اكتب محمد بن عبد الله.

وفي رواية مسلم: فأمر عليا أن يمحوها. فقال علي لا والله لا أمحوها، فقال رسول الله ﷺ: «أرني مكانها فأراه مكانها فمحاها».

ولقد روي أن سهيل بن عمرو هذا بعد أن حسن إسلامه، خرج بأهله إلا ابنة له إلى الشام مجاهدًا، فماتوا هناك ولم يبق إلا ابنته هند. وقد قيل: استشهد باليرموك وهو على كرْدُوس. وقيل بل استشهد يوم الصُّفَّر وقيل مات في طاعون عَمَوَاس. [وعمواس ضيعة على ستة أميال من الرملة، على طريق بيت المقدس] وذكر الذهبي أن ابنه أبا جندل هوالذي استشهد في الطاعون.

فمن هو يا ترى سهيل بن عمرو؟

هو سهيل بن عمرو بن عبد شَمْس بن عبد وُد بن نَصْر بن مالك من حِسْل بن عامر بن لؤي بن غالب بن فِهْر القرشي العامري.

يكنى أبا يزيد.

مصادر البحث:

(١) السيرة النبوية لابن هشام.
(٢) نور اليقين.
(٣) فقه السيرة.
(٤) أسد الغابة.

هامش:

(١) يخرج.

(٢) ألظ به: ألزمه.

اقرأ من مكتبة المركز العام:

«التنبيه والرد» للملطي الشافعي

إعداد: علاء خضر

***اسم الكتاب:** «التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع».*

***المؤلف:** الثقة الفقيه المقرئ المتقن نزيل عسقلان محمد بن أحمد بن عبد الرحمن أبو الحسين الملطي المقرئ.*

سمع «بطرابلس» خيثمة بن سليمان، وأبا عمير عدي بن عبد الباقي الأذني، وغيرهم كثير.

وروى عنه: أبو القاسم عمر بن أحمد الواسطي، وأبو محمد إسماعيل بن رجاء العسقلاني، وغيرهم كثيرين.

قال عنه أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني: سمعت إسماعيل بن رجاء يقول: كان أبو الحسين الملطي كثير العلم، كثير التصنيف في الفقه، وكان يتفقه للشافعي.

وفاته: مات بعسقلان سنة ٣٧٧هـ.

موضوع الكتاب:

ذكر الفرق الإسلامية ومقالتهم والرد عليهم.

قيمة الكتاب:

من أقدم ما أُلف في شرح أحوال الفرق، وقد حوى من الفرق ما لم يذكره باقي كتب الملل والنحل.

يتتبع فيه المؤلف الفرق ؛ فرقة فرقة، يزيف آراءها، ويبيّن ضلالها، ويرد عليها ويناقشها بحجة قوية من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين.

ينتصر فيه المؤلف لمذهب السلف، ما لا نجده في كتب الملل والنحل الأخرى.

طبعات الكتاب

الكتاب عبارة عن أربعة أجزاء، والمطبوع منه هذا الكتاب وهو الجزء الثالث، والأول والثاني مفقودان.

أهم مسائل الكتاب

وقد ابتدأ المؤلف بذكر ما قاسى المسلمون في صدر الدعوة وكيف بدء هذا الدين، وما لقي رسول الله ﷺ من جُهال قومه، وكيف كانت قلوب المؤمنين من التعزير والتوقير، وكيف لم يلوهم عن الحق أحد، ولم يؤثروا على الله شيئًا.

ثم قال رحمه الله بعد إيراده للقصص التي تبين عظم هؤلاء الصحابة رضي الله عنهم، فقال: فأين أنت يا بطال من هؤلاء السابقين، وأين عملك من أعمالهم، وهل بقي عمل لعامل في عصرنا هذا بوقت أو لحظة من أوقاتهم وسبقهم وإنما نالوا الشرف إلى الإسلام وبذلهم النفوس والكلَّ في الله حتى أيد الله بهم نبيه ﷺ وأظهر بهم دينه، وأعلى بهم الحق وأظهر بهم الصدق، فكيف يجسر على الطعن عليهم من عرف الله ساعة في عمره أم كيف يجترئ على سبهم من يزعم أنه مسلم، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ لِلْفُقَرَاءِ

المُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ...﴾ الآية [الحشر: ٨]، فالله الله في نفسك، انتبه ودع ما يريبك لما لا يريبك، ولا تتبع هواك فليس على وجه الأرض شخص يعدل عن السنة والجماعة والألفة إلا كان متبعًا لهواه، ناقصًا عقله، خارجًا عن العلم والتعارف، فالزم الحق ترشد إن شاء الله. اهـ.

ثم شرح أصول السنة فقال: الذي ثبت عن محمد بن عكاشة أن أصول السنة مما اجتمع عليه الفقهاء والعلماء منهم علي بن عاصم، وسفيان بن عيينة، ومحمد بن يوسف الفريابي، ويحيى بن يحيى، وسعيد بن سعيد القطان.

ثم قال: كلهم يقولون: رأينا أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يقولون.... وأخذ يسرد هذه الأصول ؛ منها الرضا بقضاء الله، والتسليم لأمر الله، والإيمان بالقدر خيره وشره، والجهاد مع أهل القبلة والصلاة على من مات من أهل القبلة، والإيمان يزيد وينقص، والصبر تحت لواء السلطان على ما كان منهم من عدل أو جور والكف عن أصحاب محمد ﷺ.

ثم أخذ يشرح أحوال ثماني عشرة فرقة من الشيعة الروافض ؛ منهم الفرقة الثالثة عشرة من الإمامية، فقال عنهم: هم الإسماعيلية، يتبرءون ويتولون، ويقولون بكفر من خالف عليًا، ويقولون بإمامة الإثني عشر، ويصلون الخمس، ويظهرون التنسك والتأله والتهجد، والورع، ولهم سَجَّادات وصفرة في الوجوه وعمش في أعينهم من طول البكاء والتأوه على المقتول بكربلاء؛ الحسين بن علي ورهطه، ويدفعون زكاتهم وصدقاتهم إلى أئمتهم، ويتحنون بالحناء، ويلبسون خواتيمهم في أيمانهم، ويشمرون قمصهم وأرديتهم كما تصنع اليهود، ويَتَحَذَّوْن بالنعال الصفر، وينوحون على الحسين، واعتقادهم العدل، والتوحيد، والوعيد، وإحباط الحسنات مع السيئات، ويكبرون على جنائزهم خمسًا، ويأمرون بزيارة قبور السادة.

ثم انتقل إلى ذكر المعتزلة فشرح الأصول الخمسة المعتبرة عندهم وترجم لكثير من شيوخهم بتوسع، وأفاض في بيان وجوه الخلاف بين معتزلة البصرة ومعتزلة بغداد، حتى ذكر عشرين فرقة من المعتزلة، فقال: واعلم أن للمعتزلة من الكلام ما لا أستجيز ذكره لأنهم قد خرجوا عن أصول الإسلام إلى فروع الكفر. وقال هشام منهم: لا أقول إن الله شيء، ولكن هو منشئ الأشياء، وكيف تدبرت قولهم عرفت جهلهم ووسواسهم، وهَوَسَهم لأنهم يختلفون في الأجساد والأرواح من الخلق كلهم، إنسهم وجنهم، ولا يدعون ذكر بهيمة، ولا طائر، ولا شيء خلقه الله عز وجل إلا تكلموا عليه، ووضعوا قياسًا، ثم عدلوا عن ذلك كله، فلم يرضوا به، وهم لا يعلمون، فقالت طائفة بظاهر التنزيل، ورد المتشابه إلى المحكم وبينهم في ذلك خلاف ومنازعات وأشياء تخرج إلى الكفر والتعطيل والتخليط.

ثم قال ناصحًا: والذي عندي من ذلك أن تلزم المنهج المستقيم وما نزل به التنزيل وسنة الرسول ﷺ، وما مضى عليه السلف الصالح فعليك بالسنة والجماعة ترشد إن شاء الله.

ثم ذكر المرجئة من غير خوض في أصول

هذه الطائفة، ثم ذكر الخوارج وبيّن بعض فرقها، فقال: والشراة كلهم- يقصد الخوارج- يكفرون أصحاب المعاصي ومن خالفهم في مذهبهم مع اختلاف أقاويلهم ومذاهبهم.

ثم قال: ويقال لهم: قد روي عن النبي ﷺ بإجماع الأمة لا يختلف فيه ناقل ولا راوٍ أنه سماكم مارقة وأخبر عنكم وذكركم أنكم كلاب أهل النار، فقيل: يا رسول الله، ما معنى مارقة؟ قال: «يمرقُون من الدين كما يمرق السهم من الرميَّة». يعني يخرجون من الدين وأنتم بإجماع الأمة مارقون خارجون من دين الله لا اختلاف بين الأمة في ذلك، مع أن أفعالكم من إهراق دماء المسلمين وتكفيركم السلف والخلف، واستحلالكم لما حرم الله عليكم ظاهرة شاهدة عليكم بأنكم خارجون من الدين داخلون في البغي والفسوق، ومنهم فرق تبلغ بهم أعمالهم وأقاويلهم الكفر سنذكر إذا أتينا على ذكرهم إن شاء الله. وأخذ يذكرهم فرقة فرقة.

ثم ذكر متشابه القرآن وما يتمسك به بعض أهل الزيغ من الآيات وزعمهم وجود تناقض بينهم، فأجاد الجواب عن تشكيكاتهم.

ثم ذكر المؤلف رحمه الله الجماعة وأسدى نصحًا في الدين، وسرد الأحاديث التي تحض على التمسك بالكتاب والسنة وترك الأهواء والبدع والتنطع والتكلف في الدين.

ثم سرد الفرق عودًا على بدء، فذكر الزنادقة على خمس فرق، وهم: المعطلة، والمانوية، والمزدكية، والعبدكية، وصنوف الروحانين، وذكر الجهمية على ثماني فرق وتوسع في الرد عليهم وعلى شبههم، منها قوله... وأنكروا الشفاعة: أن يشفع رسول الله ﷺ لأحد من أمته، وأن يخرج الناس من النار بعدما دخلوا، وأنكروا عذاب القبر، ومنكرًا ونكيرًا، وزعموا أن الروح تموت كما يموت البدن، وأن ليس عند الله أرواح ترزق لا شهداء ولا غيرهم، وأنكروا الإسراء أن يكون رسول الله ﷺ أُسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وأنكروا الرؤيا، وزعموا أنها أضغاث أحلام، وأنكروا أن يكون ملك الموت يقبض الأرواح، تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا.

ثم قال: وهذا جماع كلام الجهمية، وإنما سُمُّوا جهمية لأن الجهم بن صفوان كان أول من اشتق هذا الكلام من كلام السمنية، صنف من العجم بناحية خراسان، وكانوا شكَّكُوه في دينه حتى ترك الصلاة أربعين يومًا، وقال: لا أُصلي لمن لا أعرفه ثم اشتق هذا الكلام، وبنى عليه من بعده... وأخذ يرد عليهم بتوسع.

ثم ذكر القدرية على سبع فرق والمرجئة والروافض، ثم ختم كتابه بذكر الخوارج وهم خمس وعشرون فرقة.

عصمنا الله من الزلل والزيغ والفُرْقة.

أطفال المسلمين، كيف

الحلقة الحادية عشر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد: نواصل في عددنا هذا بيان هدي النبي ﷺ في تربية أطفال المسلمين؛ نقول:

(٤٨) ويبتعد ﷺ كثيراً عن لومهم وعتابهم:

إن كثرة الملامة تجر إلى الندامة، والإسراف في التوبيخ والتأديب يزيد من فِعل القبيح المعيب، وقد كان رسول اللّه ﷺ أبعد الناس عن ذلك، فما كان يكثر العتاب للطفل واللوم على تصرفاتٍ ما، وهو بهذا المسلك ﷺ إنما يغرس في نفس الطفل روح الحياء، وينمي فيه فضيلة الانتباه والملاحظة، والارتباط بذلك الخلق العظيم، وكل هذا ظهر في أنس رضي الله عنه الذي يصف التربية العالية التي رباه عليها الرسول ﷺ فيقول: خدمتُ النبي ﷺ عشر سنين، واللّه ما قال لي أُفٍ، ولا: لِمَ صنعت؟، ولا: ألاَ صنعت؟(١). وفي رواية: فما أمرني بأمر فَتوانيت عنه أو ضيعته فلامني، فإن لامَني أحد من أهل بيته قال: « دَعُوه فلو قُدِّر أو قُضِيَ أن يكون كان»(٢). وقد يقول قائل: ونحن لو فعلنا هكذا فإن الولَد سيتجرأ ولن نستطيع أن نسيطر عليه أو نرشده! ولكني أقول: فلِمَ لَمْ يتجرأ أنس، أو ابن عباس، أو زيد بن حارثة وابنه أسامة بن زَيد وأبناء جعفر، وأبناء العباس، وغيرهم ممن تربَّوْا على يده ﷺ وصاروا أعلامًا في الناس وأئمة للهدى؟ لماذا لم يتجرأ هؤلاء أو بعضهم؟! إن الذي لا يعجبه الأسلوب النبوي، أو يرى أن غيره أفضل، أو يُدخِل عليه تحسينات أو تعديلات ؛ لو كان مربيًا لابن عباس أو لأسامة أو لأنس لفشل في تربيتهم، وغيَّر توجهاتهم، فإن قال: (لا. لا. معاذ اللّه، أسلوب النبي هو الأحسن ؛ وَ. وَ الخ... لكن الشباب تغير، والجيل كما ترى، ونحن لسنا مثل النبي ﷺ)، أقول: فقد تعامل النبي ﷺ مع غرائب الشباب ؛ فتعامل مع الشاب الذي جاء يستأذن في الزنى ؛ باللين والحكمة حتى أخذ بيده إلى النجاة والتوبة، وتعامل مع المشاغبين الذين كانوا يرمون نخل الناس ليأكلوا البلح، وكذلك مع الغلام اليهودي لآخر لحظة من عمره يدعوه إلى الإسلام فأسلم بعد استشارة بالعين لأبيه اليهودي، وتعامل ﷺ مع كثير من أصحاب الأخطاء والمعاصي والخمَّارين (كما نسمِّيهم) ويخرجون من عنده راشدين، وله شاهدين، بأنهم ما رَأوا معلمًا ألْين ولا أحسن تعليمًا منه، كلهم عاملهم ﷺ باللين والحكمة وكانت النتيجة إيجابية، ولكنَّ الفارق فعلاً أننا نتعجل النتائج ولا نصبر، والنبي ﷺ يقول: « فصبر عليهن »، « فأحسن صحبتهن ».

وشرط تحقيق التربية الصحيحة أن نلتزم مع الطفل من البداية بدون ترك ثغرات أو فعل مخالفات أو السكوت على محظورات، فإذا أردنا أن نعالج وجدنا الوقت قد فات.

فينبغي ألا نكثر القول عليه بالعتاب في كل حين ؛ فإنه يُهوِّن على الطفل سماع الملامة، وركوب القبائح، ويسقط وقْع الكلام من قلبه، وليكن الأب حافظًا هيبة الكلام معه ؛ فلا يوبخه إلا أحيانًا، والأم تخوفه بالأب، وتزجره عن القبائح.

(٤٩) وبحنان الأبوة يرشدهم ﷺ إلى مكارم الأخلاق:

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «يا بني، إذا قدَرْت أن تُصبح وتُمسي، ليس في قلبك غش لأحد فافعل» ثم قال لي: «يا بني، وذلك من سنتي، ومَن أحيا سنتي فقد أحبني، ومن أحبني كان معي في الجنة»(٣).

انظروا رحمكم اللّه، على أي شيء يربي النبي ﷺ الأطفال حين يمسون وحين يصبحون؟ إنه يربيهم على قول اللّه جل وعلا: ﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ

رباهم النبي الأمين ﷺ ؟

إعداد: جمال عبد الرحمن

حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ . وَلَهُ الحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ [الروم: ١٧، ١٨]. فيصبحهم ويمسيهم ﷺ على طهارة القلب ونظافة السريرة وسلامة الصدر، استعدادًا ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى اللَّه بقلب سليم.

فما بالنا معاشر المسلمين نربي أبناءنا هذه الأيام مساءًا وصباحًا على: مِسا التماسي: ويا حلو صَبَّح! ولا حول ولا قوة إلا باللَّه العلي العظيم.

معاشر المسلمين، هل تعلمون معنى تربية الجيل على أن يُصبح ويُمسي ليس في قلبه غش لأحد؟ اقرءوا الحديث التالي تعرفوا.

عن أنس بن مالك قال: كنا جلوسًا مع رسول اللَّه ﷺ فقال «يطلع عليكم رجل من أهل الجنة»، فطلع رجل من الأنصار تنطف (تنقط) لحيته من وضوئه قد تعلق نعليه في يده الشمال (ثلاث مرات في ثلاثة أيام) فلما قام النبي ﷺ تبعه عبد اللَّه بن عمرو بن العاص (واستأذنه أن يبيت عنده ثلاث ليال فأذن له)، قال أنس، وكان عبد اللَّه يحدِّث أنه بات عنده تلك الليالي فلم يره يقوم من الليل شيئًا غير أنه إذا تعارَّ وتقلب على فراشه ذكر اللَّه تعالى وكبَّر حتى يقوم لصلاة الفجر، قال عبد اللَّه: غير أني لم أسمعه يقول إلا خيرًا، فلما مضت الثلاث ليال وكدتُ أن أحتقر عمله، قلتُ: يا عبد اللَّه، سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول لك ثلاث مِرار: «يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة». فطلعت أنت الثلاث مِرار، فأردت أن آوي إليك لأنظر ما عملك فأقتدي به ؛ فلم أرك تعَمل كثير عمل، فما الذي بلغ بك ما قال رسول اللَّه ﷺ؟ فقال: ما هو إلا ما رأيت، غير أني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشًا، ولا أحسد أحدًا على خير أعطاه اللَّه إياه. فقال عبد اللَّه: هذه التي بَلَغَتْ بك، وهي التي لا نطيق(٤). فهل نعلم أبناءنا مثل هذا الحديث، ومثل هذه الآداب؟! أين نحن من هؤلاء؟!

قال العلماء: «وينبغي أن يُعَوَّد ألاَّ يبصق في مجلسه، ولا يتمخط، ولا يتثاءب بحضرة غيره، ولا يستدبر غيره، ولا يضع رِجْلاً على رجل، ولا يضع كفه تحت ذقنه، ولا يعمد رأسه بساعده ؛ فإن ذلك دليل الكسل، ويُعلم كيفية الجلوس، ويُمنع كثرة الكلام، ويُبين له أن ذلك يدل على الوقاحة، وأنه فِعل اللئام، ويُمنع اليمين رأسًا، صادقًا كان أو كاذبًا، حتى لا يعتَاد ذلك من الصغر.

ويمنع أن يبتدئ بالكلام، ويُعود ألاَّ يتكلم إلا جوابًا وبقدر السؤال، وأن يُحسن الاستماع مهما تكلم غيره ممن هو أكبر منه سِنًا، وأن يقوم لمن فوقه، ويُوسِّع له المكان، ويجلس بين يديه، ويُمنع من لغو الكلام وفحشه، ومن اللعن والسب، ومن مخالطة من يجري على لسانه شيء من ذلك ؛ فإن ذلك يسري لا محالة من قرناء السوء. وأصل تأديب الصبيان الحفظ من قرناء السوء.

(٥٠) ويدعو لهم ﷺ وينهى الآباء عن الدعاء عليهم:

عن أنس رضي الله عنه قال: جاءت أمي أم أنس إلى رسول اللَّه ﷺ وقد أزَّرتني (ألبستني إزارًا) بنصف خمارها وردَّتني (ألبستني رداءًا) بنصفه فقالت: يا رسول اللَّه، هذا أُنيس ابني أتيتك به يخدمك فادع اللَّه له، فقال: «اللهم أكثر ماله وولده». وفي رواية(٥): «وبارك له فيما أعطيته». قال: أنس: فواللَّه إن ولدي وولد ولدي ليتعادُّون على نحو المائة اليوم(٦)، ولننظر هنا كيف أسست أم أنس لابنها مستقبلاً عظيمًا.

وكان من دعائه ﷺ في السفر: «... اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنظر، وسوء المنقلب في المال والأهل»(٧)، فالنبي ﷺ يحب ألاَّ

يُفجَع في ماله وأهله وهو عائدٌ من سفره، فيأخذ بالأسباب فيدعو اللّه تعالى ألاّ يحدث شيء من ذلك. ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [سورة غافر: ٦٠].

وعن جابر بن عبد اللّه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على خدمكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من اللّه تبارك وتعالى ساعة نَيْل فيها عطاء فيستجيب لكم»(٨).

ويقول ﷺ: «ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن، دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد على ولده»(٩).

وقد يغضب الأب أو الأم على الولد فيدعو عليه، وهذه غاية الخطورة، فقد تُستجاب الدعوة فيفسد الولد أكثر، ويظن الأهل أن الولد ما يزال مشاغبًا ولا يريد أن يتراجع عما هو فيه من الفساد، ناسين أنهم دعَوْا عليه فافسدوه، ولا بد من الدعاء له مرة أخرى لتزيل الدعوةُ له ؛ الدعوة عليه. قال ﷺ: «... ولا يرد القدر إلا الدعاء...»(١٠). وقد جاء رجل إلى عبد اللّه بن المبارك يشكو له عقوق ولده، فقال له ابن المبارك: هل دعوتَ عليه؟ فقال: نعم، فقال ابن المبارك: أنت أفسدته(١١). فلا ييأس المربي من روح اللّه، ولا يقول: دعوت للولد، ولا فائدة، بل يستمر في الدعاء والرجاء، واللّه إن شاء لن يخيِّب الرجاء، وسيهدي الأبناء.

(٥١) ويستأذنهم ﷺ فيما هو من حقوقهم:

إن إعطاء الطفل حقه، يشعره بقيمته في الحياة، ويؤهله مستقبلاً أن يلتزم، فلا يفرط في حقوق الآخرين. وهذا النبي القدوة ﷺ يستأذن غلامًا جالسًا عن يمينه أن يتنازل عن حقه في الشراب للشيخ الكبير الجالس عن يسار النبي ﷺ، وإذا بالطفل يرفض التنازل عن حقه لأي أحد إلا للنبي فقط، فأعطاه النبي ﷺ الإناء ليشرب ويستأثر بحقه ؛ ولو كان قبل الشيوخ.

عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول اللّه ﷺ أُتيَ بشراب فشرب منه، وعن يمينه غلام، وعن يساره أشياخ، فقال للغلام: «أتأذن لي أن أعطي هؤلاء؟» فقال الغلام: لا، واللّه لا أوثر بنصيبي منك أحدًا، قال: فتلّه (وضعه) رسول اللّه ﷺ في يده(١٢). سبحان اللّه! محمد سيد الخلق، وأعظمهم منزلة، وأعلاهم مكانة ؛ يستأذن صبيًا!!

وهذا أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه يضرب أروع المثل في الاقتداء بالنبي ﷺ في استئذان الصغير في حقه ؛ فكان أبو بكر فوق الستين من عمره حين استأذن أسامة بن زيد البالغ من العمر ثماني عشرة سنة أن يترك له عمر الفاروق ليساعده في شئون الخلافة وذلك بعد وفاة النبي مباشرة، وكان الرسول ﷺ قد بعث أسامة أميرًا على جيش لغزو الروم، وكان عمَر أحد جنود هذا الجيش بقيادة أسامة، وتأخر خروج ذلك الجيش بسبب وفاة النبي ﷺ، ثم بعد دفن النبي ﷺ أمر أبو بكر رضي الله عنه بأن يمضي جيش أسامة لغزو الروم.

قال الإمام الذهبي: قال أبو بكر: امض يا أسامة في جيشك للوجه الذي أُمِرتَ به، ثم اغْزُ حيث أمرك رسول اللّه ﷺ من ناحية فلسطين..... ولكن إن رأيت أن تأذن لعمر فأستشيره وأستعين به فافعل، ففعل أسامة(١٣). اللّه أكبر، ونعم الشباب، شباب محمد ﷺ.

الهوامش

(١) البخاري، كتاب الأدب ٦٠٣٨، ومسلم، كتاب الفضائل ٤٢٦٩ وغيرهما.

(٢) أخرجه أحمد، وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر (ح١٣٣٥١).

(٣) الترمذي، كتاب الغلم ,٢٦٠٢ والحديث ضعفه المنذري وقال: ولكن للحديث شواهد. انظر تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي للمباركفوري ج٧ ص ,٣٧١ وذكر لفظًا آخر: « من أحب سنتي فقد أحبني، ومن أحبني كان معي في الجنة ».

(٤) صححه الحاكم ووافقه الذهبي، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح (ح١٢٦٣٣).

(٥) رواية البخاري. ج٥ ح ٦٠١٨ .

(٦) مسلم، كتاب فضائل الصحابة ٤٥٣١ .

(٧) مسلم، كتاب الحج ٢٣٩٢، وأصحاب السنن.

(٨) مسلم، كتاب الزهد والرقائق ٥٣٢٨ وأبو داود، كتاب الصلاة ١٣٠٩ .

(٩) صححه الألباني في صحيح سنن الترمذي ح ١٩٠٥ .

(١٠) انظر السلسلة الصحيحة ح ١٥ .

(١١) إحياء علوم الدين للغزالي ٢١٧/٢ .

(١٢) البخاري، كتاب الهبة ٢٤١٥ ومسلم، كتاب الأشربة ٣٧٨٦ .

(١٣) سير أعلام النبلاء ـ سير الخلفاء ص٣٣ .

أسئلة القراء عن الأحاديث

يجيب عنها

أبو إسحاق الحويني

يسأل القارئ: محمد محمود فكري - دمياط - فارسكور عن صحة هذا الحديث: «أسوأ الناس سرقة، الذي يسرق من صلاته». قالوا: كيف يسرق من صلاته؟ قال: «لا يتم ركوعها ولا سجودها».

فالجواب بحول الملك الوهاب: أنه قد ورد من حديث أبي قتادة وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري وعبد الله بن المغفل رضي الله عنهم جميعًا.

أمَّا حديث أبي قتادة: فأخرجه الدارمي (١/٢٤٧)، وأحمد (٥/٣١٠)، وابن خزيمة (١/٣٣١، ٣٣٢)، ومن طريقه ابنُ عساكر في «تاريخ دمشق» (١٥/٥٣)، وابنُ أبي حاتم في «العلل» (٤٨٧)، والحاكمُ (١/٢٢٩)، والطبرانيُّ في «الكبير» (ج٣/ رقم ٣٢٨٣)، وفي «الأوسط» (٨١٧٩)، والدارقطني في «العلل» (٨/١٥)، والبيهقي (٢/٣٨٥- ٣٨٦)، وأبو نعيم في «المعرفة» (٢/٧٥١) من طريق الحكم بن موسى ثنا الوليد بن مسلم، عن الأوزاعيّ، عن يحيى بن أبي كثيرٍ عن عبد الله بن أبي قَتادة، عن أبيه فذكره. وهذا إسنادٌ ظاهرُهُ الجودة وليس كذلك، فإنه مُعلٌّ بعنعنة الوليد بن مسلم، فقد كان يدلس أقبح أنواع التدليس، وهو تدليس التسوية، والذي يلزمُ المدلس أن يصرح بالتحديث في كل طبقات السند، وقد صرَّح أبو حاتم وعلي بن المديني بتفرُّد الحكم بن موسى به، وليس كما قالا. فقد تابعه أبو جعفر السويدي محمد بن النوشجان، أخرجه أحمد (٥/٣١٠)، ومن طريقه ابنُ أبي حاتم في «العلل» (٤٨٧)، وتابعه أيضًا سليمان بن أحمد الواسطي كما قال الطبراني في «الأوسط»، وقد خولف الوليد بن مسلم في إسناده، خالفه عبد الحميد بن أبي العشرين، فرواه عن الأوزاعيّ، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، فذكر مثله.

أخرجه ابنُ أبي حاتم في «العلل» (٤٨٧)، وابنُ حبان (١٨٨٨) قال: أخبرنا القطَّان بالرّقة، والحاكم (١/٢٢٩)، وعنه البيهقي (٣/٣٨٦) عن عبيد بن عبد الواحد. وابنُ عبد البر في «التمهيد» (٢٣/٤١٠) عن إسحاق بن أبي حسَّان الأنماطي. وابنُ عساكر في «تاريخ دمشق» (١٥/٥٤) عن محمد بن محمد بن سليمان قالوا: ثنا هشام بن عمار، نا عبد الحميد بن أبي العشرين بهذا.

وابن أبي العشرين كاتب الأوزاعيّ، وهو من المعدودين في أصحاب الأوزاعي كما قال أبو زرعة الرازي، ولينه

النسائي وغيره، ولكن الشأن في هشام بن عمار فإنه ضعيفٌ. فكلا الطريقين معلولٌ وليس كما قال الحاكمُ: إن الإسنادين صحيحان جميعًا. وقد قال أبو حاتم الرازي: إن الطريقين جميعًا منكران ليس لواحدٍ منهما معنًى. قال له ابنه: لِمَ؟ قال: لأن حديث ابن أبي العشرين لم يروه أحدٌ سواه، وكان الوليد صنَّف كتاب الصلاة وليس فيه هذا الحديث.

أمَّا حديث أبي سعيد الخدري: فأخرجه الطيالسيُّ في «مسنده» (٢٢١٩)، ومن طريقه ابنُ عبد البر في «التمهيد» (٢٣/٤٠٩)، وأحمد (٣/٥٦)، وابنُ أبي شيبة (١/٢٨٨)، وأبو يعلى (١٣١١) عن عفان بن مسلم. وعبد بن حميد في «المنتخب» (٩٩٠) قال: حدثنا الحسن بن موسى، والبزار (٥٣٦) عن يزيد بن هارون. وابنُ عدي في «الكامل» (٥/١٨٤٣) عن إبراهيم بن الحجاج. وأبو نعيم في «الحلية» (٨/٣٠٢) عن بشر بن السري قالوا: ثنا حماد بن سلمة، أخبرنا علي بن زيد بن جدعان، عن سعيد بن المسيب، عن أبي سعيد الخدري فذكر مثله. قال البزار: «لا نعلمه عن أبي سعيد إلاَّ من هذا الوجه». وقال أبو نعيم: «تفرَّد به علي بن زيد- وهو ابن جدعان- عن سعيد. وعنه حمادٌ».

وهذا إسنادٌ ضعيفٌ، وسائر النقاد يضعفون علي بن زيد بن جدعان. والقليل منهم يمشي حاله، ولم يرو له مسلمٌ إلاَّ حديثًا واحدًا في «الجهاد» (١٧٨٩/١٠٠) مقرونًا بثابت البناني، ولا يحتمل تفرُّد علي بن زيد بهذا الحديث عن مثل سعيد بن المسيب. وعلى كل حال فرواية حماد بن سلمة عن علي بن زيد أمثل من غيرها.

أما حديث أبي هريرة: فقد تقدَّم طريق له في حديث «أبي قتادة»، وأخرجه الطبراني في «مسند الشاميين» (٢٣٤٧) من طريق إسحاق بن راهويه أنا كلثوم بن محمد بن أبي سدرة، ثنا عطاء الخراساني، عن أبي هريرة مثله.

وهذا إسنادٌ واهٍ. وكلثوم ضعيفٌ. قال أبو حاتم: «يتكلمون فيه»، وترجمه ابنُ عدي في «الكامل» (٦/٢٠٩)، وقال: «يحدِّث عن عطاء الخراساني بمراسيل وغيره بما لا يتابع عليه». وعطاء الخراساني لم يسمع من أبي هريرة، وسئل ابن معينٍ- كما في «مراسيل ابن أبي حاتم» (ص١٥٧)-: «لقى عطاء الخراساني أحدًا من أصحاب النبي ﷺ؟ قال: لا أعلمُهُ».

وأمَّا حديث عبد الله بن المغفل: فأخرجه الطبراني في «الأوسط» (٢٣٩٢)، وفي «الصغير» (٣٣٥) قال: حدثنا جعفر بن معدان الأهوازي، ثنا زيد بن الحريش، ثنا عثمان بن الهيثم، ثنا عوف، عن الحسن عن عبد الله بن المغفل مرفوعًا: «إن أسرق الناس من سرق صلاته...» الحديث، وفيه: «وأبخلُ الناس من بخل بالسلام». قال الطبراني: «لم يرو هذا الحديث عن عبد الله إلاَّ الحسنُ، ولا عن الحسن إلاَّ عوف، ولا عن عوف إلاَّ عثمان، تفرّد به زيدٌ». وإسنادُهُ ضعيفٌ، وشيخ الطبراني لم أجد له ترجمة، وزيد بن الحريش ذكره ابنُ حبان في «الثقات» (٨/٢٥١)، وقال: «ربما أخطأ»، وقال ابنُ القطان: «مجهول الحال». وقد علمت أنه تفرَّد بالحديث.

ثم الحسن البصري لم يصرح بتحديثٍ. والله أعلمُ. وجوّد إسناده المنذري وليس بجيد، والحاصل: أن الحديث ضعيف، وهذه الشواهد لا يقوي بعضها بعضًا. والله أعلمُ.

ويسأل القارئ: إبراهيم علي محمد - منشأة البكاري - الهرم - عن درجة هذا الحديث:

«مثلُ المؤمن كمثل خامة الزرع، تميلها الريح، ولا يزال المؤمن يصيبه البلاء، ومثل المنافق كمثل شجرة الأرز، لا تهتز حتى تستحصد».

والجواب بحول الملك الوهاب: حديثٌ صحيح.

أخرجه البخاريُّ (١٠/١٠٣ و١٣/٤٤٦)، ومسلمُ (٢٨٠٩/٥٨)، والترمذي (٢٨٦٦)، وأحمد

(٢/٢٣٤، ٢٨٣- ٢٨٤، ٥٢٣)، وابنُ حبان (ج٧/ رقم ٢٩١٥)، وعبد الرزاق (ج١١/ رقم ٢٠٣٠٧)، وابن أبي شيبة (١١/٢٠، ٢١، ١٣/٢٥٢)، وفي «الإيمان» (٨٦)، والبيهقيُّ في «الشعب» (ج٧/رقم ٩٧٧٨)، والبغوي في «شرح السنة» (٥/٢٤٧) من طرقٍ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وله شاهدٌ من حديث كعب بن مالك مرفوعًا: «المؤمن كمثل خامة الزرع، تفيئها الريح، تصرعها مرَّة وتعدلها أخرى حتى تهيج، ومثل الكافر كمثل الأرزة المجدبة على أصولها، لا يفيئُها شيء حتى يكون انجعافها مرّة واحدةً».

أخرجه البخاري (١٠/١٠٣)، ومسلمٌ (٢٨١٠/٥٩- ٦٢)، وأحمد (٣/٤٥٤، ٦/٣٨٦)، والدارميُّ (٢/٣١٠)، وابنُ أبي شيبة (١١/٢١ و١٣/٢٥٢)، وفي «الإيمان» (٨٧)، والروياني في «مسنده» (ج٣٢/ق ٢٤٥/١)، والطبرانيّ في «الكبير» (ج١٩/ رقم ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥)، والرامهرمزي في «الأمثال» (٣٧)، وأبو الشيخ في «الأمثال» (٣١٥) وغيرهم.

وأخرجه أحمد (٣/٣٤٩، ٣٨٧، ٣٩٤)، والبزار (٤٦، ٤٧)، وأبو الشيخ في «الأمثال» (٣٤٠) من طرق عن جابر بن عبد الله، رضي الله عنهما نحوه.

وأخرجه البخاريُّ في «التاريخ الكبير» (٣/٢/٤)، وأبو يعلى (٣٠٨٠، ٣٢٨٦)، والبزار (٤٨)، وابنُ عدي في «الكامل» (٣/١٠٧١ و٦/٢٤٣٢)، وأبو الشيخ (٣٤١)، والرامهرمزي (٣٨) كلاهما في «الأمثال» من حديث أنسٍ رضي الله عنه بنحوه. والله أعلم.

كما يسأل عن حديث: «أبخل الناس من بخل بالسلام»؟

الجواب: حديثٌ ضعيف مرفوعًا، والصوابُ فيه الوقف.

أخرجه ابن نجيد في «أحاديثه» (ق ٤/١)، والبيهقيُّ في «الشعب» (٦/٤٢٩/٨٧٦٧) عن أحمد بن داود السمناني. والطبرانيُّ في «الأوسط» (٥٥٩١)، وفي «الدعاء» (٦٠)، وعبد الغني المقدسي في «الدعاء» (٢٠) عن محمد بن عبد الله الحضرمي، وأبو الشيخ في «الأمثال» (٢٤٧) قال: حدثنا عبدان قال ثلاثتهم: ثنا مسروق بن المرزبان، ثنا حفص بن غياث، عن عاصم الأحول، عن أبي عثمان النهدي، عن أبي هريرة مرفوعًا: «أعجزُ الناس من عجز في الدعاء، وأبخلُ الناس من بخل بالسلام». قال الطبرانيّ: «لم يرو هذا الحديث عن عاصم إلاّ حفصٌ، تفرّد به مسروق، ولا يروى عن رسول الله ﷺ إلا بهذا الإسناد». وهذا إسنادٌ ضعيفٌ. ومسروق بن المرزبان قال أبو حاتم: «ليس بقويّ، يكتب حديثه» يعني في المتابعات، وقد علمت أنه تفرّد به فلا ينفعه توثيق ابن حبان، ولا قول الذهبي: «صدوق».

وقد صرّح الذهبيّ في «الميزان» أن تفرّد الصدوق يُعدُّ منكرًا.

فقول المنذري في «الترغيب» (٣/٤٣٠): «إسنادٌ جيدٌ قويّ» ليس بجيد ولا قويّ. ومما يدلُّ على ذلك أن البخاريَّ رواه في «الأدب المفرد» (١٠٤٢) عن علي بن مسهر. وأبو يعلى (٦٦٤٩ مكرر)، وعنه ابنُ حبان (١٩٣٩- موارد) عن إسماعيل بن زكريا كلاهما عن عاصم الأحول، عن أبي عثمان النهدي، عن أبي هريرة قال: فذكره موقوفًا. وهذا أولى بالصواب.

قال الحافظ في «الفتح» (٩/٥٦٥): «هذا موقوف صحيحٌ عن أبي هريرة».

تنبيه: قال الشيخ فضل الله الجيلاني في «فضل الله الصمد» (٢/٤٨٨): «أبو عثمان الراوي عن أبي هريرة اثنان: الأول مسلم الطنبذي، والآخر: عبد الرحمن بن مل النهْدي، والأقرب منهما هو الطنبذي».

كذا قال! وليس بغريبٍ منه، والصواب أنه النهدي بلا تردد.

والحمدُ لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمدٍ.

تحذير الداعية من القصص الواهية

«الحلقة الثامنة والعشرون»

بقلم/ علي حشيش

قصة بلال وشد الرحال إلى قبر النبي ﷺ

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم، حتي يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة الخطباء والوعاظ والقصاص حيث يتخذون منها دليلا على شد الرحال إلى القبور والتوسل بالموتى وتمريغ الوجه على قبورهم. ونحن لا نذكر أسماء هؤلاء الخطباء ولا الوعاظ ولا القصاص لأننا نقدم نموذجا صالحا للنقد العلمي النزيه القائم على البحث والالتزام بالقواعد العلمية الصحيحة الذي به نبين للناس حقيقة هذه القصة فالأشخاص زائلون والقصة تذكر كل حين.

أولا: متن القصة:

عن أبي الدرداء قال: لما دخل عمر بن الخطاب رضي الله عنه لفتح بيت المقدس وصار إلى الجابية سأله بلال أن يقره بالشام ففعل ذلك، فقال: وأخي أبو رويحة الذي آخى بيني وبينه رسول الله ﷺ فنزل دارنا في خولان فأقبل هو وأخوه إلى قوم من خولان فقال لهم: قد أتيناكم خاطبين، وقد كنا كافرين فهدانا الله، ومملوكين فأعتقنا الله وفقيرين فأغنانا الله فإن تزوجونا فالحمد لله وإن تردونا فلا حول ولا قوة إلا بالله فزوجوهما.

ثم أن بلالا رأى في منامه النبي ﷺ وهو يقول له: «ما هذه الجفوة يا بلال أما آن لك أن تزورني يا بلال فانتبه حزينا وجلا خائفا فركب راحلته وقصد المدينة فأتى قبر النبي ﷺ فجعل يبكي عنده ويمرغ وجهه عليه، فأقبل الحسن والحسين فجعل يضمهما ويقبلهما، فقالا له: يا بلال نشتهي نسمع أذانك الذي كنت تؤذن به لرسول الله ﷺ في المسجد ففعل، فَعَلا سطح المسجد فوقف موقفه الذي كان يقف فيه، فلما أن قال: الله أكبر ارتجت المدينة فلما أن قال: أشهد أن لا إله إلا الله ازدادت رجتها، فلما أن قال أشهد أن محمدا رسول الله خرجت العواتق من خدورهن؛ وقالوا: بعث رسول الله ﷺ فما رؤى يومٌ أكثر باكيا ولا باكية بالمدينة بعد

رسول الله ﷺ من ذلك اليوم» إهـ.

ثانيا: التخريج:

أخرج هذه القصة الحافظ ابن عساكر في «تاريخ دمشق» في ترجمة بلال وأيضا في ترجمة: إبراهيم بن محمد بن سليمان بن بلال بن أبي الدرداء الأنصاري بإسناده عنه قال: قال حدثني أبي محمد بن سليمان، عن أبيه سليمان بن بلال، عن أم الدرداء، عن أبي الدرداء قال: «فذكر قصة قدوم بلال إلى الشام في عهد عمر ثم قدومه لقبر النبي ﷺ كذا في «الصارم المنكي» ص (٢٢٨) لابن عبد الهادي رحمه الله.

ثالثا: التحقيق:

قلت: وهذا إسناد واه قال فيه الحافظ ابن عبد الهادي في «الصارم» ص (٢٣٠) «هو أثر غريب منكر وإسناده مجهول وفيه انقطاع» أهـ.

قلت: وإلى القارئ الكريم البيان:

١ - إبراهيم بن محمد بن سليمان بن بلال بن أبي الدرداء:

قال الحافظ ابن عبد الهادي: «هذا شيخ لم يعرف بثقة وأمانة ولا ضبط وعدالة، بل هو مجهول غير معروف بالنقل ولا مشهور بالرواية ولم يرو عنه غير محمد بن الفيض روى عنه هذا الأثر المنكر» أهـ.

قلت: وأورده الذهبي في «الميزان» (١/٦٤) ترجمه (٢٠٥) وقال: «فيه جهالة حدث عنه محمد بن الفيض الغساني» أهـ.

قلت: وأورده الحافظ ابن حجر في «اللسان» (١/١٠٧) ترجمه (٣٢١) وقال: «إبراهيم بن محمد بن سليمان بن أبي الدرداء: فيه جهالة حدث عنه محمد بن الفيض الغساني».

قلت: وبذلك وافق الحافظ ابن حجر في «اللسان» الذهبي في «الميزان».

ثم قال الحافظ ابن حجر في «اللسان» (١/١٠٧): «ترجم له ابن عساكر، ثم ساق من روايته عن أبيه، عن جده عن أم الدرداء، عن أبي الدرداء، في قصة «رحيل بلال إلى الشام» وفي قصة «مجيئه إلى المدينة وأذانه بها، وارتجاج المدينة بالبكاء لأجل ذلك، وهي قصة بيِّنة الوضع» أهـ.

٢ - سليمان بن بلال: هو مجهول العين: ومجهول العين هو من ذكر اسمه ولكن لم يرو عنه إلا راو واحد، وحكم روايته عدم القبول إلا إذا وثق.

قلت: لكنه لم يوثقه أحد من أهل الجرح والتعديل حيث قال الحافظ ابن عبد الهادي في «الصارم» ص (٢٣٢).

قلت: وقول الحافظ ابن حجر في «اللسان» (١/١٠٧): «هي قصة بينة الوضع» تؤيده القرائن التي في القصة.

رابعا: القرائن التي تبين أن القصة واهية:

القرينة الأولى:

قوله: «فأتى قبر رسول الله ﷺ وجعل يبكي عنده».

وهذا باطل لأن أصحابه صلى الله عليه وسلم دفنوه في حجرة عائشة رضي الله عنها التي كانت تجاور المسجد وكان حرص الصحابة شديدا على أن يظل قبره عليه الصلاة والسلام خارج المسجد في كل توسعة تمت بمسجده الشريف... حدث هذا في عصر عمر رضي الله عنه فلقد حرص حينما وسع المسجد في عام ١٧هـ على أن تكون توسعة المسجد من جميع الجهات إلا من الجهة الشرقية التي يقع فيها قبر الرسول ﷺ وبيته فلم يمسها حتى لا يدخل القبر داخل المسجد الشريف.

ونفس هذا الحرص تم أيضا في عهد عثمان رضي الله عنه حينما وسع المسجد في عام ٢٤هـ وسنوضح هذا بالتفصيل في موضعه.

وهذه القصة المنكرة يدعي واضعها أنها حدثت لبلال في عهد عمر وكأن القبر ظاهر كسائر القبور يمكن لكل أحد أن يأتيه.

ألم يعلم أن القبر في عهد عمر كان في حجرة عائشة رضي الله عنها وبيتها الذي لا يجوز لأحد أن يدخله إلا بإذن منها؟.

وليرجع هؤلاء القصاص والوعاظ إلى ما أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/٩٣): فقد ثبت أنه لما طعن عمر رضي الله عنه أمر ابنه عبد الله رضي الله عنه أن يذهب إلى عائشة رضي الله عنها ويقول لها:

«إن عمر يقول لك: إن كان لا يضرك ولا يضيق عليك فإني أحب أن أدفن مع صاحبيَّ فقالت: إن ذلك لا يضرني ولا يضيق عليَّ، قال: فادفنوني معهما» أهـ.

قلت: وبالبحث في «التواريخ والوفيات» بالنسبة للصحابي الجليل بلال بن رباح:

١ ـ فقد ذكره الحافظ المزي في «تهذيب الكمال» (٣/١٨٦/٧٦٩) قال: «بلال بن رباح القرشي التيمي أبو عبد الله ويقال أبو عبد الرحمن ويقال أبو عبد الكريم ويقال أبو عمرو المؤذن مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنهما وهو ابن حمامة وهي أمه وكانت مولاة لبعض بني جُمْع قديم الإسلام والهجرة شهد بدرا وأحدا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وسكن دمشق قال البخاري مات بالشام: زمن عمر.

وقال أبو زُرْعَة الدمشقي: قبره بدمشق.

قال الذهلي عن يحيى بن بكير: مات بدمشق في طاعون عمواس سنة سبع عشرة أو ثماني عشرة.

وقال الواقدي وعمرو بن علي: مات بدمشق سنة عشرين وهو ابن بضع وستين سنة» أهـ.

قلت: لذلك قال الحافظ ابن حجر في «التقريب» (١/١١٠):

«مات بالشام سنة سبع عشرة أو ثمان عشرة، وقيل سنة عشرين وله بضع وستون سنة» أهـ.

٢ ـ قلت: وهذه الأقوال في تاريخ وفاة بلال لا تخرج عن قول الإمام البخاري: «مات بالشام: زمن عمر».

٣ ـ تاريخ وفاة عمر رضي الله عنه:

قال الحافظ ابن حجر في «التقريب» (٢/٥٤):

عمر بن الخطاب بن نُفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قُرْط بن رزاح بن عدي بن كعب القرشي العدوي أمير المؤمنين مشهور جمّ المناقب استشهد في ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين وولي الخلافة عشر سنين ونصفا» أهـ.

قلت: نستنتج من ذلك أن وفاة عمر رضي الله عنه سنة ثلاث وعشرين وبالمقارنة بين الأقوال في تاريخ وفاة بلال رضي الله عنه وبين تاريخ وفاة عمر رضي الله عنه يتبين حقيقة ما قاله أمير المؤمنين في الحديث الإمام البخاري: «مات بالشام زمن عمر».

والقبر في عهد عمر كان في حجرة عائشة رضي الله عنها وبيتها الذي لا يجوز لأحد أن يدخله إلا بإذن منها» كما بينا آنفا.

وإن تعجب فعجب فعلهم، كيف سولت لهؤلاء الوضاعين أنفسهم بأن جعلوا قبر النبي ﷺ وكأنه خارج حجرة عائشة رضي الله عنها وخارج بيتها يأتيه من قصد القبر من الصحابة كبلال الصحابي الجليل ليبكي عنده ويمرغ وجهه عليه.

القرينة الثانية:

قوله «ويمرغ وجهه عليه» فليتق الله هؤلاء الوضاعون فإن بلالا رضي الله عنه لم يكن من أولئك الجهلة الذين لا يقفون عند حدود الشرع إذا رأوا القبور فيفعلون عندها ما لا يجوز من الشركيات والوثنيات كتلمس القبر والتمسح به والتمرغ عليه.

القرينة الثالثة:

قوله: «خرجت العواتق من خدورهن» فما علاقة ذلك بسماع الشهادة الأخرى؟

من أجل ذلك جزم الحافظ ابن حجر بأن القصة موضوعة، والحافظ ابن عبد الهادي أنه أثر غريب منكر، والحافظ المزي في «تهذيب الكمال» في ترجمة بلال أشار إلى ضعفها وكذلك الحافظ ابن كثير في «البداية» (٢/١٠٢).

فائدة هامة: «حديث شد الرحال ودرء الشبهات»

«لا تشدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد:

المسجد الحرام، ومَسجدي هذا، والمسجد الأقصى».

الحديث متفق عليه أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة.

هناك شبهة يتعلق بها القبوريون لشد الرحال إلى القبور.

ولقد انتشرت هذه الشبهة واشتهرت حتى نشرت جريدة اللواء الإسلامي في عددها (٢٧٨) في الصفحة (٧) تحت عنوان «أنت تسأل والإسلام يجيب» لأحد الدكاترة قال:

«أما حديث «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد...» إلخ ذلك وارد في خصوص المساجد والمساجد غير المشاهد وقبر الرسول يعتبر مشهدًا وهو غير المسجد».

كذلك أخذ بهذه الشبهة بعض المؤلفين في كتابه «هل من الشرك التوسل بالأنبياء والأولياء» ص (٦٧) الفصل الخامس «حكم السفر لزيارة الصالحين والأولياء» قال: «أما المانعون الذين يحرمون السفر لزيارة الأولياء والصالحين فقالوا أن ذلك ممنوع بنص الحديث واستدلوا بما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى».

قلت ثم ردَّ على هذا المنع فقال:

«وهذا استثناء مفرغ ومعناه أي لا تشد الرحال إلى مسجد إلا إلى هذه المساجد الثلاثة... ثم يقول وهذا أولى لكون المستثنى من جنس المستثنى منه.

ولقد نبَّه الشيخ الألباني رحمه الله على هذه الشبهة الناتجة عن التأويل الباطل لهذا الحديث الصحيح فقال في «الضعيفة» (٦٤/١).

تنبيه:

يظن كثير من الناس أن شيخ الإسلام ابن تيمية ومن نحا نحوه من السلفيين يمنع من زيارة قبره ﷺ، وهذا كذب وافتراء وليست أول فرية على ابن تيمية رحمه الله تعالى وعليهم وكل من له اطلاع على كتب ابن تيمية يعلم أنه يقول بمشروعية زيارة قبره ﷺ واستحبابها إذا لم يقترن بها شيء من المخالفات والبدع مثل شد الرحال والسفر إليها لعموم قوله ﷺ «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد».

والمستثنى منه في هذا الحديث ليس هو المساجد فقط كما يظن كثيرون بل هو كل مكان يقصد للتقرب إلى الله فيه سواء كان مسجدا أو قبرا أو غير ذلك بدليل ما رواه أبو هريرة قال (في حديث له): «فلقيت بصرة بن أبي بصرة الغفاري فقال من أين أقبلت؟ فقلت من الطور، فقال: لو أدركتك قبل أن تخرج إليه ما خرجت. سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تعمل المطي إلا إلى ثلاثة مساجد» الحديث أخرجه أحمد وغيره بسند صحيح.

فهذا دليل صريح على أن الصحابة فهموا الحديث على عمومه، ويؤيده أنه لم ينقل عن أحد منهم أنه شد الرحل لزيارة قبر ما، فهم سلف ابن تيمية في هذه المسألة، فمن طعن فيه فإنما يطعن في السلف الصالح رضي الله عنهم ورحم الله من قال:

وكل خير في اتباع من سلف
وكل شر في ابتداع من خلف

قلت: وهذا الفهم الصحيح للحديث وتفسير المستثنى منه في الحديث بحديث آخر يبين فهم الصحابة للحديث ذكره الحافظ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي الفقيه الحنبلي المقرئ المحدث الناقد النحوي الجبل الراسخ في «الصارم المنكي في الرد على السبكي» ص(٢٤) وهو من تلاميذ شيخ الإسلام ابن تيمية يدافع فيه عن شيخه حيث اتهمه السبكي بتحريم زيارة قبر الرسول ﷺ حيث فرق بين الزيارة الشرعية التي سنها رسول الله ﷺ وبين البدعية التي لم يشرعها».

هذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد.

الفتاوى

من فتاوى
دار الإفتاء المصرية

التعامل مع البنوك بفائدة محرم شرعاً !!

سُئل: بالطلب المقيد برقم ٣٧٦ لسنة ١٩٧٩ المتضمن أن المصارف في مصر تعطي فائدة سنوية لكل مائة مبلغًا قدره ٧,٥ أو ٨,٥ أو ١٣٪، وقد أفتى بعض العلماء بجواز ذلك، حيث إن التعامل ليس مع الأفراد ولكن مع المصارف التي تتبع الحكومة، وطلب السائل الإفادة عن حكم هذه الفائدة.

أجاب: قال الله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٧٥) يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾[البقرة: ٢٧٥، ٢٧٦]، وقال رسول الله ﷺ: «الذهب بالذهب يدًا بيد والفضل ربا». ومن هذه النصوص الشرعية وغيرها يكون الربا محرمًا، سواءٌ أكان ربا نسيئة أو ربا زيادة، ولما كان إيداع المال بالبنوك نظير فائدة محددة مقدمًا قد وصفه القانون بأنه قرض بفائدة فإن هذه الفائدة تكون من قبيل ربا الزيادة المحرم شرعًا، وبالتالي تصبح مالاً خبيثًا لا يحل للمسلم الانتفاع به وعليه التخلص منه بالصدقة، أما القول بأن هذا التعامل ليس بين الأفراد، ولكن مع المصارف التي تتبع الحكومة، فإن الوصف القانوني لهذه المعاملات قرض بفائدة لا يختلف في جميع الأحوال ولم يرد في النصوص الشرعية تفرقة بين الربا وبين الأفراد وبين الربا بينهم وبين الدولة، وعلى المسلم أن يكون كسبه حلالاً يرضى عنه الله والابتعاد عن الشبهات. والله سبحانه وتعالى أعلم. [المفتي: فضيلة الشيخ جاد الحق علي جاد الحق، فتوى رقم (١٢٥٧)].

إيداع الأموال في البنوك بدون فائدة مباح

سُئل: بالطلب المقيد برقم (٩٥/١٩٨٠) عن بيان الحكم الشرعي فيما يلي:

١- فوائد البنوك عامة والتي تعطى بنسب ثابتة على المبالغ المودعة طرفها.

٢- هل إيداع الأموال في البنوك دون أخذ فوائد عليها حلال أم حرام؟

٣- الإفادة عن بنك فيصل الإسلامي وبنك ناصر الاجتماعي، وهل إيداع المبالغ بهما بالطرق المختلفة سواء أكان حسابًا جاريًا أو وديعة أو دفتر توفير، حلال أم حرام؟ وهل الفوائد من بنك ناصر الاجتماعي حلال أم حرام، مع العلم بأنه يتم خصم نسبة الزكاة المفروضة شرعا من فوائد الحسابات المذكورة سابقًا، أي: فوائد خالصة الزكاة؟

أجاب: إن الإسلام حرم الربا بنوعيه: ربا الزيادة، كأن يقترض من إنسان أو من جهة مبلغًا معينًا بفائدة محددة مقدمًا، أو ربا النسيئة، وهو أن يزيد في الفائدة، أو يقدرها إن لم تكن مقدرة في نظير الأجل أو تأخير السداد، وهذا التحريم ثابت قطعًا بنصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وبإجماع أئمة المسلمين، قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٧٥) يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾ [البقرة: ٢٧٥، ٢٧٦]، وقال رسول الله ﷺ: «الذهب بالذهب يدًا بيد والفضل ربا». ومن هذه النصوص الشرعية وغيرها يكون الربا محرمًا، سواء أكان ربا الزيادة أو النسيئة.

فإذا كانت الفوائد المحددة مقدمًا على المبالغ التي تودع في البنوك عامة أو بدفاتر البريد قد وصفها القانون بأنها قرض بفائدة فتكون من أنواع ربا الزيادة المحرم في الإسلام بالنصوص السالفة وإجماع المسلمين.

أما إيداع الأموال السائلة (النقود) في البنوك عامة بدون فائدة، وإنما بقصد حفظها فهو مباح ؛ لأن النقود لا تتعين بالتعيين فاختلاطها بأموال ربوية لا تجعل الإيداع محرمًا.

هذا، والمعروف عن الاستثمار المعمول به في بنك فيصل الإسلامي وبنك ناصر الاجتماعي، أنه لا يجري على نظام الفوائد المحددة مقدمًا، وإنما يوزع أرباح عملياته الاستثمارية المشروعة بمقادير غير ثابتة، بل خاضعة لمدى ما حققه

المشروع من كسب، والتعامل على هذا الوجه مشروع في الإسلام، باعتباره مقابلاً لما جرى عليه فقهاء المسلمين في إجازة عقود المضاربة والشركات التي يجري فيها الكسب والخسارة.

وإذا كان ذلك: كان على أصحاب الأموال من المسلمين استثمار أموالهم بالطرق المشروعة التي لا تجلب الحرام ؛ لأن الله سبحانه سائل كل إنسان عن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، كما جاء في الحديث الشريف، لا سيما إذا كانت هذه البنوك تتعامل وتستثمر الأموال وتخرج زكاتها كما يقضي الإسلام. والله سبحانه وتعالى أعلم.

[المفتي: فضيلة الشيخ جاد الحق علي جاد الحق، فتوى رقم (١٢٥٨)].

شهادات الإستثمار والعائد منها والزكاة فيه ؟!

سئل: بالطلب المقدم من الأستاذ عوض حجازي المقيد برقم ٧٧٦ سنة ١٩٨٠ الذي يطلب فيه بيان الحكم الشرعي في شهادات استثمار البنك الأهلي المجموع (ب) ذات العائد الجاري، وهل هي حلال أم حرام؟ كما يطلب الإفادة عن كيفية الزكاة فيها، وكيفية التصرف في العائد منها والمستحق له الآن، وما سبق أن أخذه من البنك من هذا العائد؟

أجاب: جرى اصطلاح فقهاء الشريعة الإسلامية على أن الربا هو زيادة مال بلا مقابل في معاوضة مال بمال، وقد حرم الله سبحانه وتعالى الربا بالآيات الكثيرة في القرآن الكريم، وكان من آخرها نزولاً على ما صح عن ابن عباس رضي الله عنهما قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٧٥) يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾ [البقرة: ٢٧٥، ٢٧٦]، ومحرم كذلك بما ورد في الحديث الشريف الذي رواه البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «الذهب بالذهب، والفضة بالفضة، والبر بالبر، والشعير بالشعير، والتمر بالتمر، والملح بالملح، مثلاً بمثل، يداً بيد، فمن زاد أو استزاد فقد أربى، الآخذ والمعطي فيه سواء».

ولما كان مقتضى هذه النصوص أن الربا بكل صوره محرم شرعًا وأنه يدخل فيه كل زيادة في المال المقترض بالشرط والتحديد بلا مقابل، وأجمع المسلمون على هذا التحريم.

ولما كانت شهادات الاستثمار (أ، ب) ذات فائدة محددة مشروطة مقدمًا زمنًا ومقدارًا، كانت داخلة في ربا الزيادة المُحَرم بهذه النصوص الشرعية باعتبارها قرضًا بفائدة مشروطة.

أما شهادات الاستثمار (جـ) ذات الجوائز، فإنها تدخل في باب الوعد بجائزة ؛ إذ ليست لها فائدة مشروطة ولا محددة زمنًا ومقدارًا، فتدخل في باب المعاملات المباحة عند بعض فقهاء المسلمين الذين أجازوا الوعد بجائز، أما عن الأرباح التي حصل عليها السائل فائدة للشهادات ذات العائد المحدد مقدمًا فهي ربا محرم، وسبيل التخلص من المال الحرام هو التصدق به، أما عن زكاة في هذا المال: فإذا كان رأس المال يبلغ النصاب الشرعي وجبت عليه الزكاة فيه، ولكن بشروط وهي: أن تكون ذمة مالكها خالية من الدين، وأن تكون فائضة عن حاجته المعيشية وحاجة من يعوله. وأن يمضي عليها سنة كاملة، والنصاب الشرعي الذي يجب فيه الزكاة بعد استيفاء باقي الشروط هو ما تقابل قيمته بالنقود الحالية ٨٥ جرامًا من الذهب عيار ٢١، ويجب عليه إخراج الزكاة بمقدار ربع العشر أي ٢,٥٪ وتصرف هذه الزكاة للأصناف التي حددها الله تعالى في قوله: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾ [التوبة: ٦٠]. والله سبحانه وتعالى أعلم.

[المفتي: فضيلة الشيخ جاد الحق علي جاد الحق، فتوى رقم (١٢٥٩)].

نقص قيمة الشهادات مع أرباحها عن قيمتها وقت الشراء لا يكون مبرراً لحِل الفائدة !!

سئل: بالطلب المقيد برقم ٢٦٣ لسنة ١٩٨١ المتضمن أن السائل أهديت له شهادات استثمار من الفئة (ب) ذات العائد الجاري، وقد استحق صرفها حاليًا ولها أرباح عن فرة حيازته لها، فهل هي حلال بأرباحها، علمًا بأن قيمتها الشرائية الآن مع أرباحها أقل من قيمتها وقت الإهداء والشراء؟

أجاب: اصطلح فقهاء الشريعة على أن ربا الزيادة: هو زيادة مال بلا مقابل في معاوضة مال بمال.

وقد حرم الله الربا بالآيات الكثيرة في القرآن الكريم، وكان آخرها نزولاً على ما صح عن ابن عباس رضي الله عنهما قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٧٥) يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾ [البقرة: ٢٧٥، ٢٧٦].

وحرمه كذلك بمَا وردَ في الحديث الشريف الذي رواه البخاري ومسلم وغيرهما، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «الذهب بالذهب، والفضة بالفضة، والبر بالبر، والشعير بالشعير، والتمر بالتمر، والملح بالملح، مثلاً بمثل، يدًا بيد، فمن زاد أو استزاد فقد أربى، الآخذ والمعطي فيه سواء».

ولما كان مقتضى هذه النصوص أن الربا يدخل فيه كل زيادة على المال المقترض أو المودع بالشرط والتحديد بلا مقابل، وقد أجمع المسلمون على تحريمه إعمالاً لنصوص القرآن والسنة الشريفة.

ولما كانت شهادة الاستثمار من الفئة (ب) ذات فائدة محددة مشروطة مقدمًا زمنًا ومقدارًا، كانت داخلة في ربا الزيادة المحرم شرعًا بمقتضى تلك النصوص، باعتباره قرضًا بفائدة مشروطة مقدمًا زمنًا ومقدارًا، أما ما جاء بالسؤال من أن قيمة هذه الشهادات الشرائية الآن مع أرباحها أقل من قيمتها وقت إهدائها إلى السائل أو وقت الشراء فلا يصلح مبررًا لاستحلال هذه الفوائد الربوية، فقد نقل الإمام الإسبيجابي في شرح الطحاوي: اتفاق الفقهاء على أن الفلوس إذا لم تكسد ولكن غلت قيمتها أو نقصت، فعلى المقترض مثل ما قبض من العدد ما دام نوع الفلوس محددًا. [رسالة تنبيه الرقود على مسائل النقود من رخص وغلاء وكساد وانقطاع للعلامة ابن عابدين (ج٢ مجموع الرسائل (ص٥٨- ٦٧)].

وإذ كان ذلك: كانت القيمة الاسمية لهذه الشهادات حلالاً باعتبار أن أصلها جاء هدية من كسب حلال في الغالب حملاً لحال المؤمنين على الصلاح، كما هو الأصل.

أما الفائدة التي استحقت عليها طبقًا لنظام إصدارها فهي من باب ربا الزيادة المحرم، باعتبارها محددة زمنًا ومقدارًا، ولا يحل للمسلم الانتفاع بهذه الفائدة باعتبارها من الأكساب المحرمة، وله قبضها وتوجيهها إلى أي طريق من طرق البر، كبناء المساجد أو المستشفيات أو إعطائها لفقير أو مسكين على ما أشارت إليه سنة رسول الله ﷺ في التصرف في الكسب الحرام، إبراءً لذمة المسلم من المسئولية أمام الله، فقد ورد في الحديث عن أبي برزة الأسلمي قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه وعن علمه فيم فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه». [صحيح الترمذي (٩/٢٥٣)]. والله سبحانه وتعالى أعلم.

[المفتي: فضيلة الشيخ جاد الحق علي جاد الحق، فتوى رقم (١٢٦٠)].

«تحديد ربح بمقدار معين لرب المال»

القرار الخامس

الصادر عن الدورة الرابعة عشرة لمجلس المجمع الفقهى المنعقدة عام ١٤١٥هـ بشأن موضوع: هل يجوز تحديد ربح رب المال فى شركة المضاربة بمقدار معين من المال؟

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لانبى بعده سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أما بعد:

فإن مجلس المجمع الفقهى الإسلامى لرابطة العالم الإسلامى فى دورته الرابعة عشرة المنعقدة بمكة المكرمة والتى بدأت يوم السبت ٢٠ من شعبان ١٤١٥هـ ٢١/١/١٩٩٥م قد نظر فى هذا الموضوع وقرر أنه لايجوز فى المضاربة أن يحدد المضارب لرب المال مقداراً معينا من المال لأن هذا يتنافى مع حقيقة المضاربة، ويجعلها قرضا بفائدة، ولأن الربح قد لا يزيد على ماجعل لرب المال، فيستأثر به كله، وقد تخسر المضاربة، أو يكون الربح أقل مما جعل لرب المال، فيغرم المضارب.

والفرق الجوهرى الذى يفصل بين المضاربة والقرض بفائدة الذى تمارسه البنوك الربوية، هو أن المال فى يد المضارب أمانة، لايضمنه إلا إذا تعدى أو قصر، والربح يقسم بنسبة شائعة متفق عليها بين المضارب ورب المال، وقد أجمع الأئمة الأعلام على أن من شروط صحة المضاربة أن يكون الربح مشاعا بين رب المال والمضارب دون تحديد قدر معين لأحد منهما. والله أعلم.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا، والحمد لله رب العالمين.

فتاوى

أجاب عليها:
سماحة الشيخ: ابن عثيمين، رحمه الله

سُئل: مَن هم أهل السنة والجماعة؟

أجاب: أهل السنة والجماعة هم الذين تمسكوا بالسنة، واجتمعوا عليها، ولم يلتفتوا إلى سواها، لا في الأمور العلمية العقدية، ولا في الأمور العملية الحكمية، ولهذا سمُّوا أهل السنة ؛ لأنهم متمسكون بها، وسمُّوا أهل الجماعة؛ لأنهم مجتمعون عليها.

وإذا تأملت أحوال أهل البدعة وجدتهم مختلفين فيما هم عليه من المنهاج العقدي أو العملي، مما يدل على أنهم بعيدون عن السنة بقدر ما أحدثوا من البدعة.

سُئل: تقسيم الدّين إلى قشور ولب، (مثل اللحية)، هل هو صحيح؟

أجاب: تقسيم الدين إلى قشور ولب، تقسيم خاطئ وباطل، فالدين كله لب، وكله نافع للعبد، وكله يقربه لله عز وجل وكله يُثاب عليه المرء، وكله ينتفع به المرء، بزيادة إيمانه وإخباته لربه عز وجل، حتى المسائل المتعلقة باللباس والهيئة وما أشبهها، كلها إذا فعلها الإنسان تقربًا إلى الله عز وجل واتباعًا لرسوله ﷺ، فإنه يُثاب على ذلك، والقشور كما نعلم لا ينتفع بها، بل ترمى، وليس في الدين الإسلامي والشريعة الإسلامية ما هذا شأنه، بل كل الشريعة الإسلامية لب ينتفع به المرء إذا أخلص النية لله، وأحسن في اتباعه رسول الله ﷺ، وعلى الذين يروجون هذه المقالة، أن يفكروا في الأمر تفكيرًا جديًا، حتى يعرفوا الحق والصواب، ثم عليهم أن يتبعوه، وأن يَدعُوا مثل هذه التعبيرات، صحيح أن الدين الإسلامي فيه أمور مهمة كبيرة عظيمة، كأركان الإسلام الخمسة، التي بينها الرسول ﷺ، بقوله: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام». [أخرجه البخاري]. وفيه أشياء دون ذلك، لكنه ليس فيه قشورٌ لا ينتفع بها الإنسان، بل يرميها ويطرحها.

وأما بالنسبة لمسألة اللحية: فلا ريب أن إعفاءها عبادة ؛ لأن النبي ﷺ أمر به، وكل ما أمر به النبي ﷺ، فهو عبادة يتقرب بها الإنسان إلى ربه، بامتثاله أمر نبيه ﷺ، بل إنها من هدي النبي ﷺ وسائر إخوانه المرسلين، كما قال الله تعالى عن هارون: أنه قال لموسى: ﴿يَا ابْنَ أُمَّ لاَ تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلاَ بِرَأْسِي﴾ [طه: ٩٤]. وثبت عن النبي ﷺ أن إعفاء اللحية من الفطرة التي فطر الناس عليها، فإعفاؤها من العبادة، وليس من العادة، وليس من القشور كما يزعمه من يزعمه.

سُئل: ما حكم رفع اليدين والدعاء بعد الصلاة؟

أجاب: ليس من المشروع أن الإنسان إذا أتم الصلاة رفع يديه ودعا، وإذا كان يريد الدعاء فإن الدعاء في الصلاة أفضل من كونه يدعو بعد أن ينصرف منها، ولهذا أرشد النبي ﷺ إلى ذلك في حديث ابن مسعود حين ذكر التشهد قال: «ثم ليتخير من المسألة ما شاء». (﴿ البخاري (٨٠٠)].

وأما ما يفعله بعض العامة من كونهم كلما صلوا تطوعًا رفعوا أيديهم حتى إن بعضهم تكاد تقول إنه لم يدعُ ؛ لأنك تراه تقام الصلاة وهو في التشهد من تطوعه فإذا سلم رفع يديه رفعًا، كأنه والله أعلم رفع مجرد، ثم مسح وجهه، كل هذا محافظة على هذا الدعاء الذي يظنون أنه مشروع، وهو ليس بمشروع. فالمحافظة عليه إلى هذا الحد يعتبر من البدع.

سُئل: كيف كانت «لا إله إلا الله» مشتملة على جميع أنواع التوحيد؟

أجاب: هي تشمل جميع أنواع التوحيد كلها؛ إما بالتضمن، وإما بالالتزام، وذلك أن قول القائل: «أشهد أن لا إله إلا الله» يتبادر إلى الذهن أن المراد بها توحيد العبادة- الذي يسمى توحيد الألوهية- وهو متضمن لتوحيد الربوبية ؛ لأن كل من عبد الله وحده، فإنه لن يعبده حتى يكون مقرًا له بالربوبية، وكذلك متضمن لتوحيد الأسماء والصفات ؛ لأن الإنسان لا يعبد إلا من علم أنه مستحق للعبادة، لما له من الأسماء والصفات، ولهذا قال إبراهيم لأبيه: ﴿يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لاَ

يَسْمَعُ وَلاَ يُبْصِرُ وَلاَ يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴾ [مريم: ٤٢]، فتوحيد العبادة متضمن لتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات.

سئل: هل اتخاذ الأسباب ينافي التوكل، فبعض الناس إبان حرب الخليج اتخذ الأسباب وبعضهم تركها وقال: إنه متوكل على الله؟

أجاب: الواجب على المؤمن أن يعلق قلبه على الله عز وجل وأن يصدق الاعتماد عليه في جلب المنافع ودفع المضار، فإن الأمر كله كما قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٢٣]، وقال موسى لقومه: ﴿يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ (٨٤) فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٨٥) وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [يونس: ٨٤- ٨٦]، وقال الله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٠]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٣]، فالواجب على المؤمن أن يعتمد على ربه رب السماوات والأرض ويحسن الظن به.

ولكن يفعل الأسباب الشرعية والقدرية الحسية التي أمر الله تعالى بها ؛ لأن أخذ الأسباب الجالبة للخير المانعة من الشر من الإيمان بالله تعالى وحكمته، ولا تنافي التوكل، فها هو سيد المتوكلين محمد رسول الله ﷺ، كان يتخذ الأسباب الشرعية والقدرية، فكان يعوذ نفسه عند النوم بالإخلاص والمعوذتين، وكان يلبس الدروع في الحرب، وخندق على المدينة حين اجتمع أحزاب الشرك حولها حماية لها، وقد جعل الله تعالى ما يتقي به العبد شرور الحروب من نعمه التي يستحق الشكر عليها، فقال عن نبيه داود: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٨٠]، وأمر الله داود أن يجيد صنعها ويجعلها سابغة لأنها تكون أقوى في التحصين.

وعلى هذا فإن أهل البلاد القريبة من مواقع الحرب التي يخشى أن يصيبها من آثاره ليس عليهم حرج من الاحتياط باستعمال الكمامات المانعة من تسرب الغازات المهلكة إلى أبدانهم، والتحصينات المانعة من تسربه إلى بيوتهم، لأن هذا من الأسباب الواقية من الشر، المحصنة من البأس، ولا حرج عليهم أن يدخروا لأنفسهم من الأطعمة وغيرها ما يخافون أن يحتاجوا إليه فلا يجدوه، وكلما قويت الخشية من ذلك كان طلب الاحتياط أقوى. ولكن يجب أن يكون اعتمادهم على الله عز وجل فيستعملوا هذه الأسباب بمقتضى شرع الله وحكمته على أنها أسباب أذن الله لهم فيها، لا على أنها الأصل في جلب المنافع ودفع المضار، وأن يشكروا الله تعالى حيث يسر لهم مثل هذه الأسباب وأذن لهم بها.

والله أسأل أن يقينا جميعًا أسباب الفتن والهلاك، وأن يحقق لنا ولإخواننا قوة الإيمان به والتوكل عليه، والأخذ بالأسباب التي أذن بها على الوجه الذي يرضى به عنا، إنه جواد كريم. وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

سئل: ما الأمور التي يجب تعليقها بالمشيئة والأمور التي لا ينبغي تعليقها بالمشيئة؟

الجواب: كل شيء مستقبل فإن الأفضل أن تعلقه بالمشيئة ؛ لقول الله تعالى: ﴿وَلاَ تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (٢٣) إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الكهف: ٢٣، ٢٤]، أما الشيء الماضي فلا يعلق بالمشيئة إلا إذا قصد بذلك التعليل.

فمثلاً لو قال لك شخص: دخل شهر رمضان هذا العام ليلة الأحد إن شاء الله، فلا يحتاج أن تقول: إن شاء الله ؛ لأنه مضى وعلم، ولو قال لك قائل: لبست ثوبي إن شاء الله، وهو لابسه فلا يحسن أن يعلق بالمشيئة؛ لأنه شيء مضى وانتهى، إلا إذا قصد التعليل أي قصد أن اللبس كان بمشيئة الله. فهذا لا بأس به.

فلو قال قائل حين صلى: صليت إن شاء الله، إن قصد فعل الصلاة فإن الاستثناء هنا لا ينبغي ؛ لأنه صلى، وإن قصد إن شاء الله الصلاة المقبولة فهنا يصح أن يقول إن شاء الله؛ لأنه لا يعلم أقبلت أم لم تقبل.

القول الجلي في الولاية والولي

كتبه: معاوية محمد هيكل

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى وبعد، فلكي نفهم الإسلام فهمًا صحيحًا لابد من الرجوع لسلف هذه الأمة في فهم الكتاب والسنة، وإلا فإسلام الشيعة يختلف عن إسلام الصوفية والخوارج والمعتزلة، وكل هؤلاء يخالفون ما كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته الكرام، وقد أثنى الله على الصحابة بقوله: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، وقال النبي ﷺ: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم». [رواه البخاري (٢٥٠٩)].

وفي حديث العرباض بن سارية: «فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة». [رواه أبو داود، وصححه الألباني].

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «أيها الناس، من كان منكم مستنًا فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا أفضل هذه الأمة: أبرها قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم في آثارهم وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم». فالدين الخالص الذي يرضى به الله هو ما كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته الكرام علمًا وعملا واعتقادًا.

وعلى أساس ذلك المنهج السلفي نتناول في هذا المقال حقيقة الولاية والولي فنقول مستعينين بالله العلي:

قال تعالى: ﴿أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [يونس: ٦٢-٦٤].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله قال: من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يُبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه». [البخاري (ج٥/٢٣٨٤- رقم (٦١٣٧)].

وقد ألحق الكذابون والوضاعون بهذا الحديث: «عبدي أطعني تكن عبدًا ربانيًا تقول للشيء: كن فيكون»، فلا بد من رد هذه الزيادة المذكورة، إذ لا يقول للشيء كن فيكون إلا الله تعالى.

الولاية... ومَن تشمل؟!

الولاية ليست قاصرة على الأموات، بل تشمل الأحياء والأموات والرجال والنساء، والكبار والصغار، فكل مؤمن تقي فهو ولي من أولياء الله، وبحسب إيمانه وتقواه، تكون ولايته لله تعالى، تحرم معاداته ومن عاداه دون وجه حق فقد عرض نفسه لحرب من الله لا طاقة له بها، وطريق الولاية طريق واضح لا طلسمات فيه ولا شعوذات، بل هو طريق اكتملت معانيه في الكتاب والسنة، وسلكه رسول الله ﷺ وصحابته الكرام، ومن تبعهم بإحسان.

معنى الولاية والولي؟!

فسر الطبري الأولياء بأنهم أنصار الله، ثم نقل ما جاء من حديث عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من عباد الله لأناسًا ما هم بأنبياء، ولا شهداء، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله تعالى، قالوا: يا رسول الله، تخبرنا من هم، قال: هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم، ولا أموال يتعاطونها، فوالله إن وجوههم لنور، وإنهم على نور؛ لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس، وقرأ هذه الآية: ﴿ أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾». [صحيح أبي داود (٣٠١٢)].

ثم قال الطبري: والصواب من القول في ذلك أن يقال: «الولي- أعني ولي الله-: هو من كان بالصفة التي وصفه الله بها وهو الذي آمن واتقى كما قال الله: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾». اهـ.

فأولياء الله هم خلص المؤمنين كأنهم قربوا من الله سبحانه بطاعته واجتناب معصيته، وقيل: إن الولي سمي وليًا من موالاته للطاعات أي متابعته لها، وهذا المعنى يدور بين الحب والقرب والنصرة، وقد ذكرت الكلمة في تسعين موضعًا من كتاب الله، منها أربعة وخمسون في جانب أولياء الله، وستة وثلاثون في جانب أولياء الشيطان وأعداء الله، قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ﴾ [المائدة: ٥٧]، وقال تعالى: ﴿ اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ [الأعراف: ٣]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾ [الممتحنة: ١].

الولاية ووسائل تحصيلها!!

هذه الولاية تستلزم العلم النافع والعمل الصالح، وهذا يتضمن الإيمان وإتباع الفرائض بالنوافل، والفرائض ليست فقط هي الخمس التي اشتمل عليها حديث أركان الإسلام في البخاري: «بني الإسلام على خمس»، بل هي كثيرة جدًا يصعب حصرها، فمنها الجهاد وبر الوالدين وصلة الأرحام، وترك المعاصي من أعظم فرائض الجهاد، ومن الفرائض الباطنة الإخلاص والبعد عن سوء الظن والتباغض والتدابر والكبر والعجب، والتزام الصدق والبعد عن النفاق وأداء الأمانة، والبعد عن الخيانة، والتحلي بالصبر والخشية والتوبة والحب في الله والبغض في الله.

والنوافل شاملة جميع أجناس الطاعات من صلاة وصيام وزكاة وحج، وهي كل ما ندب الله سبحانه إليه من غير إيجاب أو فرض.

التفاضل بين الأولياء!!

وأفضل الأولياء هم الأنبياء، وأفضل الأنبياء هم المرسلون، وأفضل الرسل هم أولوا العزم، وأفضل أولي العزم نبينا محمد ﷺ، ويتلوه نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، صلوات الله عليهم وسلامه أجمعين، وأفضل هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، رضي الله عنهم أجمعين، لإجماع الصحابة على ذلك، ومن قدم عليًا على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما في الفضل والخلافة هو ضال مبتدع، بل ولا يصح تقديم علي عَلَى عثمان رضي الله عنهما، وقد استقر الأمر على تقديم عثمان في الفضل والخلافة؛ لحديث ابن عمر رضي الله عنهما: «كنا نفضل بين أصحاب رسول الله ﷺ فنقدم أبا بكر ثم عمر ثم عثمان». [رواه البخاري].

وأفضل الصحابة بعد الخلفاء الأربعة الستة الباقون إلى تمام العشرة المبشرين بالجنة، ثم

البدريون، ثم أصحاب أُحد، ثم أهل بيعة الرضوان بالحديبية، والصحابة كلهم رضوان الله عليهم هم خيار أولياء الله المتقين ؛ لقول النبي ﷺ في الحديث: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم».

وأفضل التابعين على وجه الجملة هو أويس بن عامر القرني، وأفضلهم علمًا هو سعيد بن المسيب، كما قال الإمام أحمد، وسيدتا التابعين من النساء حفصة بنت سيرين وعمرة بنت عبدالرحمن، وعلماء الأمة من أولياء الله، كما قال الإمام الشافعي، رحمه الله، إذا لم يكن العلماء بأولياء الله، فليس لله ولي، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾.

طبقات الأولياء!!

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وأولياء الله على طبقتين: سابقون مقربون، وأبرار أصحاب يمين مقتصدون، والأولياء غير الأنبياء ليسوا بمعصومين، فلا عصمة لأحد في هذه الأمة بعد النبي ﷺ لا لصاحب ولا إمام ولا ولي، بل الجميع يجوز عليهم الكبائر والصغائر، لكن للصحابة مزية على كل من جاء بعدهم للسبق للإسلام ولجهادهم في سبيل الله، ولشرف صحبتهم لرسول الله ﷺ، ولذلك قال تعالى: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١٠٠]، وقد توهم البعض أن الولاية لا تثبت إلا بحدوث الكشوفات والخوارق أو أن الولاية قاصرة على المقبورين كأبي العباس المرسي، وإبراهيم الدسوقي وأحمد البدوي... وهذا كله خطأ وزعم فاسد.

غواية لا ولاية!!

لقد شاع وذاع بين الناس أن الولي هو ذلك الدرويش مرقع الثياب حافي القدمين الذي يهذي أحيانًا ويتمتم بكلمات، وقد يتعامل مع شياطين الجن فيخبرونه عن بعض الأشياء أو يعمل في السحر والشعوذة، وقد تساعدهم الشياطين بجلب أشياء لهم، ونحو ذلك مما يلبس على كثير من الناس، وقصة شيخ الإسلام ابن تيمية مع الرفاعية مشهورة عندما تحداهم بأن يغتسلوا بالماء الحار ويدخلوا النار كما كانوا يصنعون، فنكصوا وأخبر هو رحمه الله أن الرفاعية دهنوا أجسادهم بدهن الضفدع حتى يقاوموا النار، وبمثل هذه الأباطيل يلبس على كثير من الدهماء والعوام وتزيد الأعطيات وتوزع الهبات، وتملأ خزائن هؤلاء الدجاجلة من غير حل، فاللهم اعصمنا من الزلل.

وقد توسع الصوفية في مفهوم الولاية حتى جعلوها للمجانين والمتخلفين عقليًا، وكأن الله تعالى لم يخلع الولاية إلا لفاقدي العقول والحمقى والمغفلين ومرتكبي الكبائر، فإنا لله وإنا إليه راجعون. [الفكر الصوفي].

المعجزة والكرامة!!

معجزات الأنبياء كثيرة، وقد كانت معجزة كل نبي من جنس ما برع فيه قومه مثل عصا موسى وإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص- بإذن الله- لعيسى عليه السلام ومعجزة القرآن الكريم بالنسبة لرسول الله محمد ﷺ، وكذلك انشقاق القمر على عهده ﷺ ونبع الماء من بين أصابعه وتكثير الطعام وحنين الجذع والإسراء والمعراج وإجابة دعائه.

والكرامة: أمر خارق للعادة، يجريه الله على يد ولي من أوليائه معونة له على أمر ديني أو دنيوي، ويفرق بينها وبين المعجزة ؛ بأن المعجزة تكون مقرونة بدعوى الرسالة بخلاف الكرامة. وقد تواترت نصوص الكتاب والسنة ودلت الوقائع قديما وحديثا على وقوع كرامات الله لأوليائه المتبعين لهدي أنبيائهم ولم تزل الكرامات موجودة في هذه الأمة لم تنقطع إلى يوم القيامة، وقد أنكر الفلاسفة معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء كما أنكر الكرامات المعتزلة وبعض الأشاعرة بدعوى التباسها بالمعجزة وهي دعوى باطلة لأن الكرامة لا تقترن بدعوى الرسالة (شرح الواسطية).

ومن كرامات الأولياء التي لا تحصى في الأمم السابقة: قصة أصحاب الكهف، وقصة مريم عليها السلام، وفي الصحابة والتابعين ما حدث لعمر بن الخطاب رضي الله عنه في قصة سارية لما أرسل جيشًا وأمر عليهم سارية، فبينما عمر يخطب فجعل يصيح على المنبر يا سارية الجبل، فقدم رسول الجيش، فقال: يا أمير المؤمنين، لقينا عدوًا فهزمونا فإذا بصائح: يا سارية الجبل، يا سارية الجبل، فأسندنا ظهورها للجبل فهزمهم الله، ومن ذلك إخبار

أبي بكر بأن ببطن زوجته أنثى، وإخبار عمر بمن يخرج من ولده فيكون عادلاً، وقصة خالد بن الوليد وسفينة مولى رسول الله ﷺ مع الأسد والبراء بن مالك كان إذا أقسم على الله أبرَّ قسمه، وأبى مسلم الخولاني في نجاته من النار التي أوقدها له الأسود العنسي مدعي النبوة باليمن. [«الفرقان» لشيخ الإسلام ابن تيمية].

ضوابط ومعايير!!

لا تلازم بين الولاية وظهور الأمور الخارقة للعادة، فكثير من أولياء الله الصادقين من الصحابة والتابعين لم يحدث لهم خوارق وهم مَن هم في الفضل والسبق.

يقول الليث: لو رأيت الرجل يمشي على الماء فلا تصدقه حتى تعرض عمله على السنة. قال الشافعي رحمه الله: قصَّر والله الليث بل لو رأيته يطير في الهواء فلا تصدقه حتى تعرض عمله على السنة.

لذلك فالخوارق التي تحدث للعباد وتجرى على أيديهم: منها كرامات رحمانية ومنها خوارق شيطانية، وضابط الكرامة لزوم الاستقامة. قال الجوزجاني: كن طالبًا للاستقامة لا طالبًا للكرامة، فإن نفسك متحركة في طلب الكرامة، وربك يطلب منك الاستقامة. اهـ.

فإذا استقام العبد على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، فلا يبعد أن تحدث له كرامة رحمانية، كما حدثت لكثير من الصحابة، وفي الحديث: «قد كان في الأمم قبلكم محدثون(١)، فإن يكن في أمتي أحد منهم فعمر منهم». [متفق عليه]. وفي لفظ في الصحيح: «إن في هذه الأُمة محدثين وإن منهم عمر».

ثم عمر رضي الله عنه مع كونه من المحدثين بالنص، كان يشاور الصحابة ويشاورونه ويراجعهم ويراجعونه، ويحتج عليه بالكتاب والسنة، ويرجعون جميعًا إليهما، وكان إذا عرضت عليه المسألة يقول، أقول فيها، فإن أصبت فمن الله وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان والله منه بريء، وكان أبو سليمان الداراني يقول: «إنها لتقع في قلبي النكتة- أي المسألة- من نكت القوم، فلا أقبلها إلا بشاهدين عدلين: الكتاب والسنة». وقال أبو عثمان- النيسابوري: «من أمر على نفسه الهوى قولاً وفعلاً نطق بالبدعة لأن الله تعالى يقول: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾».

قال ابن تيمية: وإذا عرفت أنه لابد للولي من أن يكون مقتديًا في أقواله وأفعاله بالكتاب والسنة، وأن ذلك هو المعيار الذي يعرف به الحق من الباطل، فمن ظهر منه شيء منها يخالف هذا المعيار فهو رد عليه، ولا يجوز لأحد أن يعتقد فيه أنه ولي الله، فإن أمثال هذه الأمور تكون من أفعال الشياطين كما نشاهده في الذين لهم تابع من الجن فإنه قد يظهر على يده ما يظن من لم يستحضر هذا المعيار أنه كرامة، وهو في الحقيقة مخاريق شيطانية وتلبيسات إبليسية، ولهذا نراه يظهر من أهل البدع بل من أهل الكفر وممن يترك فرائض الله سبحانه ويتلوث بمعاصيه لأن الشيطان أميل إليهم للاشتراك بينه وبينهم في مخالفة ما شرع الله سبحانه لعباده، وقد يظهر شيء مما يظن أنه كرامة من أهل الرياضة وترك الاستكثار من الطعام والشراب على ترتيب معلوم وقانون معروف حتى ينتهي حاله، إلى أن لا يأكل إلا في أيام ذوات العدد ويتناول بعد مضى أيام شيئًا يسيرًا فيكون له بسبب ذلك بعض صفاء من الكدورات البشرية، فيدرك ما لا يدركه غيره، وليس هذا من الكرامات في شيء، ولو كان من الكرامات الربانية والتفضلات الرحمانية لم يظهر على أيدي أعداء الله كما يقع كثيرًا من المرتاضين من كفرة الهند الذين يسمونهم الآن الجوكية، وقد يظهر شيء مما يظن أن كرامة على لسان بعض المجانين، وسبب ذلك مما ذكره الحكماء أنه قد ذهب عنه ما يصنعه الفكر من التفصيل والتدبير اللذين يستمران للعقلاء، فيكون لعقله إدراك لا يكون للعقلاء، فيأتي في بعض الأحيان بمكاشفات صحيحة، وهو مع ذلك متلوث بالنجاسة مرتبك في القاذورات قاعد في المزابل وما يشابهها. فيظن من لا حقيقة عنده أنه من أولياء الله، وذلك ظن باطل وتخيل مختل وهو في الحقيقة مجنون قد رفع الله عنه قلم التكليف ولم يكن وليًا لله ولا عدوًا. اهـ.

هامش:

(١) يُقال للرجل الصادق الظن: محدَّث، والمحدَّث هو الملهم الذي يُلقى في نفسه الشيء فيخبر به حدسًا وفراسة. [لسان العرب].

مفاهيم عقائدية

الفصل الأول

المبحث الأول

الإيمان (مفهومه. خصائصه. نواقضه)

بقلم / أسامة سليمان

يعد موضوع الإيمان من أهم موضوعات علم العقيدة، لأنه من المسائل التي خالف فيها أهل الضلال أهل السنة والجماعة، ومن ثم كان معرفة منهج أهل السنة في تلك القضية من الأهمية بمكان، وسنحاول إن شاء الله أن نبين مفهوم الإيمان لغة واصطلاحا، ثم نبين صفات الإيمان وخصائصه، ثم نوضح نواقض الإيمان وحكم مرتكب المعصية.

أولا: مفهوم الإيمان

الإيمان لغة: هو التصديق يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ [يوسف:١٧]، وشرعا يطلق ويراد به الاعتقادات الباطنة، وذلك إذا أطلق مع الإسلام في موضع واحد يقول سبحانه وتعالى ﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات:١٤]. أما إذا أطلق الإيمان غير مقترن بلفظ الإسلام فعند ذلك يراد به القول والعمل والاعتقاد (قول اللسان وتصديق القلب وعمل الجوارح) يقول سبحانه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال:٢:٤] فالآيات الكريمة تبين أن الإيمان يجمع بين القول والعمل والاعتقاد.

والنبي ﷺ يبين أن الإيمان يجمع بين الأعمال الظاهرة والباطنة في حديث وفد عبد القيس أمرهم ﷺ بأربع «أمرهم بالإيمان بالله وحده قال: «أتدرون ما الإيمان بالله وحده»؟ قالوا: الله ورسوله أعلم قال: «شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان وأن تعطوا من المغنم الخمس...» [رواه الشيخان واللفظ لـ (خ٥٣)].

وفي حديث النبي ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان» [الشيخان (م٣٥)] والصلاة سميت إيمانا في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ [البقرة:١٤٣] أي صلاتكم وقد اختلفت الآراء في مسمى الإيمان على النحو التالي:

١ـ **الكرامية:** قالوا أن الإيمان هو قول اللسان فقط.

٢ـ **الجهمية:** قالوا أن الإيمان هو تصديق القلب ومعرفة الله فقط.

٣ـ **أبو حنيفة رحمه الله:** قال أن الإيمان هو التصديق بالقلب والقول باللسان فقط.

٤ـ **أهل السنة والجماعة:** قالوا أن الإيمان هو قول اللسان وتصديق القلب وعمل الجوارح.

وفيما يلي بيان تحليلي لكل رأي وبيان الراجح منها:

(١) **الكرامية:** هم من جملة المرجئة ويقصدون بقولهم أن الإيمان قول فقط أي أن الإيمان يثبت بمجرد قول اللسان وإن تخلف تصديق القلب وعمل الجوارح، وهذا الكلام باطل من وجوه:

١) أن القول أحد أركان الإيمان وليس كل الأركان، يقول سبحانه: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ [البقرة:١٣٦].

٢) ويقول ﷺ: «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا

الله» ومن حديث سفيان الثقفي رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله قل لي في الإسلام قولا لا أسأل عنه أحدا بعدك وفي حديث أبي أسامة غيرك قال: «قل آمنت بالله ثم استقم» (م٣٨).

٣) وقال ﷺ: «يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله» [رواه الشيخان (خ١٣٦٠)].

٤) إن المنافقين قالوا كلمة التوحيد بألسنتهم ولكن قلوبهم لم تصدق فقال الله في وصفهم ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [المنافقون:١] ويقول جل شأنه في وصف المنافقين في سورة البقرة: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة:٨] حتى وإن قاموا ببعض الأعمال فهي مردودة لقوله سبحانه: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلاَ يَأْتُونَ الصَّلاَةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَى وَلاَ يُنْفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ [التوبة:٥٤] ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاَةِ قَامُوا كُسَالَى﴾ [النساء:١٤٢].

ومن ذلك يتضح لنا فساد هذا الرأي وبطلانه ومصادمته للأدلة الشرعية الثابتة.

(٢) **رأي الجهمية**: ومن سار على منهجهم من الأشاعرة أن الإيمان هو التصديق فقط أي أن معرفة الله تكفي للإيمان وهذا القول واضح البطلان لأن تصديق القلب هو أحد الأركان وليس كل الأركان ومما يبين فساد هذا القول:

١) قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٣٦) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ [الحجر:٣٦،٣٧] فإبليس يعرف ربه فهل نفعته المعرفة فقط أم أن الله وصفه بالكفر بسبب إعراضه واستكباره.. أبى واستكبر وكان من الكافرين.

٢) وكذا فرعون كافر بنص القرآن الكريم لا لعدم معرفته بربه بل لجحوده ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾ [النمل:١٤] فالمعرفة وحدها لا تكفي بل لابد من عمل القلب والجوارح واللسان.

(٣) **قول أبي حنيفة رحمه الله**: الإيمان هو تصديق القلب وقول اللسان.

مما لا شك فيه أن الأعمال تدخل في مسمى الإيمان ولا يكفي قول اللسان وتصديق القلب:

١ - يقول سبحانه: ﴿فَلاَ صَدَّقَ وَلاَ صَلَّى (٣١) وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ [القيامة:٣١،٣٢].

٢ - يقول سبحانه: ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾ [طه:٧٥].

٣ - ويقول سبحانه: ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور:٤٧] التولي ضد الطاعة رغم قولهم باللسان وتصديقهم بالقلب إلا أنهم أعرضوا فقال الله في وصفهم وما أولئك بالمؤمنين.

والإمام البخاري في صحيحه بين ذلك بيانا شافيا في كتاب الإيمان ووضع فيه أبوابًا يرد بها على تلك الشبهات (باب الصلاة من الإيمان - باب الزكاة من الإيمان - إتباع الجنائز من الإيمان - إطعام الطعام من الإيمان - إفشاء السلام من الإيمان وكلها أعمال تدخل في مسمى الإيمان) قال الشافعي رحمه الله وكان التابعون والصحابة ومن تبعهم يقولون أن الإيمان قول وعمل ونية ولا تجزئ واحدة من الثلاث إلا بالأخرى.

وقال الإمام أحمد القول إن الإيمان قول وعمل هو عند أهل السنة من شعائر السنة.

وقال الحافظ ابن عبد البر أجمع أهل الفقه والحديث أن الإيمان قول وعمل ولا عمل إلا بنية والإيمان عندهم يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية والطاعات كلها عندهم إيمان إلا ما ذكر عن أبي حنيفة وأصحابه فإنهم ذهبوا إلى أن الطاعات لا تسمى إيمانا فقالوا إن الإيمان تصديق وإقرار.

(٤) **قول أهل السنة والجماعة**: الإيمان قول باللسان وتصديق بالقلب وعمل بالجوارح وهذا قول أهل السنة والجماعة وهذا المراد من قولهم «قول وعمل» أي قول باللسان والقلب وعمل بالجوارح والقلب وتصديق القلب يشمل القول والعمل والنية لأنه لا عمل ولا قول بغير نية وفيما يلي شرح لمسمى الإيمان عند أهل السنة والجماعة:

١ - **قول القلب**: وتصديقه وإيقانه ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ [الحجرات:١٥] أي تصديق منافٍ

للشك.

٢ـ **قول اللسان:** هو النطق بالشهادتين والإقرار بلوازمهما لأن رسول الله ﷺ قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله...» [الشيخان (خ٢٥)].

٣ـ **عمل القلب:** وهو النية والإخلاص والمحبة والانقياد والتوكل وغير ذلك، يقول سبحانه وتعالى: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء:٦٥] ويقول الرسول ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات».

٤ـ **عمل اللسان والجوارح:** فعمل اللسان كتلاوة القرآن والتسبيح والدعاء والاستغفار وغير ذلك وعمل الجوارح كالقيام والركوع والسجود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والزكاة والحج، يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًا وَعَلاَنِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ﴾ [فاطر:٢٩]..

وتصديق القلب عند أهل السنة يشمل قول القلب وعمل القلب، وأدلة دخول العمل في معنى الإيمان كثيرة متعددة منها:

- ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ [التوبة:١١].
- ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ * فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ * وَلاَ يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ [الماعون:١-٣].
- ﴿لاَ تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المجادلة:٢٢].
- ﴿قَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ﴾ [غافر:٢٨].
- ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة:١٤٣].

وعلى كل حال نود أن نوضح أن من العلماء من يرى أن الخلاف بين الأحناف والأئمة من أهل السنة خلاف لفظي لا يترتب عليه أثر.

وقد نقل عن الطحاوي رحمه الله قوله (والاختلاف بين أبي حنيفة والأئمة الباقين من أهل السنة اختلاف صوري فإن كون أعمال الجوارح لازمة لإيمان القلب أو جزء من الإيمان مع الاتفاق بأن مرتكب الكبيرة لا يخرج من الإيمان بل هو في مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه نزاع لفظي ولا يترتب عليه فساد اعتقاد فعمل الجوارح لا يختلف الفريقان في تحديد قيمته وأهميته في دين الله وإن اختلفوا في تكييفه إن كان جزءًا من الإيمان أو مقتضى من مقتضياته ولازما من لوازمه فالأئمة اعتبروه جزءا من الإيمان ولكنهم لم يجعلوه كالإقرار والتصديق.

ثانيا: خصائص الإيمان

زيادة الإيمان ونقصانه: وهذه المسألة مترتبة على الخلاف في مسمى الإيمان، فمن قال بدخول الأعمال في الإيمان قال إن الإيمان يزيد وينقص، ومن قال بعدم دخول الأعمال في الإيمان قال بأن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، فالقول الأول هو مذهب أهل السنة والجماعة، ذلك لأن العمل يزيد وينقص سواء كان ظاهرًا أو باطنًا، وأدلة أهل السنة والجماعة متعددة منها:

أولا القرآن: قوله سبحانه:

١ـ ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال:٢].

٢ـ ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران:١٧٣].

٣ـ ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب:٢٢].

٤ـ ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد:١٧].

٥ـ ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [الفتح:٤].

ثانيا: أدلة السنة:

أ) قوله ﷺ «الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان» [الشيخان (م٣٥) ومعنى أن الإيمان شعب أي كلما حصل المرء شعبة زاد إيمانه وكلما أهدر شعبة نقص إيمانه.

ب) قوله ﷺ: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان» [رواه مسلم وأحمد وابن ماجة]، ووجه الاستدلال في الحديث أن الإنكار بالقلب أضعف الإيمان والإنكار باليد

أعلى درجات الإيمان وهذا معناه الزيادة والنقصان.

ج) قوله ﷺ: «أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وخيارهم خيارهم لنسائهم» أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي والدارمي عن أبي هريرة ووجه الاستدلال أن حسن الخلق متفاوت فالإيمان إذا يتفاوت.

د) قوله ﷺ: «نحن أحق بالشك من إبراهيم ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ فإبراهيم عليه السلام سأل الله زيادة الإيمان، والإمام البخاري رحمه الله استدل بقوله تعالى ﴿وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ على زيادة الإيمان ونقصانه فى أول كتاب الإيمان.

و) قول معاذ رضي الله عنه لبعض الصحابة هيا بنا نؤمن ساعة فليس المقصود أنهم ليسوا بمؤمنين وإنما المراد هيا بنا نزداد إيمانًا مع إيماننا.

ثالثا: أقوال العلماء وسلف الأمة:

قال ابن عبد البر «أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل ولا عمل إلا بنية والإيمان عندهم يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، والطاعات كلها إيمان إلا ما ذكر عن أبي حنيفة وأصحابه».

قال عمار رضي الله عنه «اللهم زدنا إيمانًا ويقينًا وفقهًا» رواه أحمد.

وهذا هو الراجح لوضوح أدلته وإجماع السلف من الصحابة والتابعين وتابعيهم على ذلك.

والمذهب الثاني هو مذهب الجهمية والكرامية والمرجئة فهم يقولون بعدم زيادة الإيمان ونقصانه، وأدلتهم فى الواقع أوهن من خيوط العنكبوت ولا تحتاج إلى كثير بحث لبيان بطلانها، ومنها:

قولهم إن الزيادة غير محددة حتى نُقِرَّ بها والجواب: أن الزيادة لا تنكر وإن كنا نجهل حدها فنحن نؤمن بالنجوم رغم عدم معرفتنا لحدها ونؤمن برمال الأرض مع عدم معرفتنا لحدها.

وقولهم إن الإيمان واحد عند الجميع والذي يزيد وينقص هو العمل كثمرة من ثمراته قول يناقض بعضه بعضا ومعنى ذلك أن العمل يتناسب مع الإيمان فكلما زاد الإيمان زاد العمل وكلما انعدم الإيمان انعدم العمل ومعنى ذلك زيادة الإيمان ونقصانه وهذا يناقض قولهم.

وخلاصة القول: أن المذاهب قد اختلفت في هذه القضية على النحو التالي:

١ - **الخوارج**: قالوا إن الإيمان لا يزيد ولا ينقص ورتبوا على ذلك أن من ترك مأمورًا أو فعل محظورًا فهو كافر مخلد في النار.

٢ - **المعتزلة**: قالوا إن الإيمان لا يزيد ولا ينقص ولكنهم يقولون إن من ترك مأمورًا أو فعل محظورًا هو في منزلة بين المنزلتين فلا هو كافر ولا هو مؤمن بل هو فاسق وفي الآخرة مخلد في النار فوافقوا الخوارج في الحكم وخالفوهم في التسمية.

٣ - **المرجئة**: قالوا إن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، رغم قولهم إن الإيمان هو قول اللسان وتصديق القلب، وهذا القول يلزم منه أن الإيمان يزيد وينقص لأن تصديق القلب هو عمل القلب فهو يزيد وينقص، وهم بذلك يثبتون الإيمان لمن ترك كل المأمور وفعل كل المحظور ومع ذلك القول فأهل السنة لم يكفروهم، قال شيخ الإسلام في الفتاوى مجلد٧ ص٥٠٧ «إن السلف والأئمة اشتد إنكارهم على هؤلاء وتبديعهم وتغليظ القول، ولم أعلم أحدًا نطق بتكفيرهم، بل هم متفقون على أنهم لا يكفرون على ذلك، وقد نص أحمد وغيره من الأئمة على عدم تكفير هؤلاء المرجئة».

٤ - **الكرامية**: الإيمان عندهم لا يزيد ولا ينقص، لأنه عندهم إقرار باللسان فقط، والإقرار لا يتبعض، ومع ذلك يقولون بالخلود في النار لمرتكب الكبيرة..!!

٥ - **الجهمية**: الإيمان عندهم لا يزيد ولا ينقص، لأنه مجرد تصديق القلب فقط، وهذا قول جمهور الأشاعرة والماتُريدية، فهم لا يدخلون في التصديق أعمال القلب فضلا عن الأعمال الظاهرة.

تعلن مجلة التوحيد

عن وجود مجلدات مجلة التوحيد للبيع وقد تقرر أن يكون سعر المجلد لأي سنة داخل مصر للأفراد والهيئات والمؤسسات ودور النشر ١٨ جنيها مصريًا. وفروع أنصار السنة ١٥ جنيها مصريًا. ويتم البيع للأفراد خارج مصر بسعر ١٠ دولارات أمريكية. والهيئات والمؤسسات ودور النشر ٨ دولارات أمريكية.

مفاجأة كبرى

لأول مرة نقدم لك كرتونة كاملة تحتوي على ٣٠ مجلداً من مجلة التوحيد ٣٠ سنة كاملة:

- ٥٠٠ جنيهًا للكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات داخل مصر.
- ١٢٥ دولارًا لمن يطلبها خارج مصر بخلاف سعر الشحن.
- ٧٥ دولارًا للشحن.

مكان البيع بالمركز العام الدور السابع المجلة: ٣٩٣٦٥١٧ الاشتراكات: ٣٩١٥٤٥٦

دعوة لنشر التوحيد عبر مجلة التوحيد

الحمد لله وبعد :

إن وسائل الإعلام في كثير من البلدان في غالب الأحيان صارت عوامل هدم للمجتمعات. فكثير من المفاهيم الشرعية والمعرفية استطاعت وسائل الإعلام تزييفها وتغييرها، ومن هنا سارعت دول الكفر والمذاهب الهدامة إلى السيطرة على زمام تلك الوسائل لتبث من خلالها سمومها التي أشربتها كثير من القلوب فسقطت صرعى وهلكى، أو مرضى في طريق سيرها إلى الله والدار الآخرة، وكان من نتائج ذلك محاولات هدم أركان العقيدة ومحاربة الفضيلة ونشر الرذيلة والفاحشة.

فعبدت القبور وذبحت القرابين لغير الله عز وجل، وانتشر السحر والسحرة واتُّبِعَت الشهوات وكثرت المنكرات، لكن سرعان ما تنبه العقلاء من المسلمين للخطر الداهم فسارعوا إلى معالجة المرضى وإنقاذ الهلكى، فكان من جهودهم هذه المجلة الغراء - مجلة التوحيد - منبر الدعوة السلفية بمصر، والتي عملت على نشر التوحيد منذ أكثر من ثلاثين عاماً.

ومن هذا المنطلق ندعوكم أيها الأخوة - حفظكم الله - إلى نشر التوحيد عبر مجلة التوحيد بتوزيعها بالداخل ؛ السنة الكاملة بـ ١٥ ريالاً أو ١٥ جنيهاً مصرياً فقط قيمة اشتراك يُهدى إلى معلم أو واعظ يؤثر في مجتمعه، و ٢٠ دولاراً قيمة اشتراك خارجي يُهدى إلى من يحتاج إلى من ينير له الطريق . فلا تحرم نفسك يا أخي من السُّنة الحسنة والأجر الجزيل.

قال ﷺ : « من دعا إلى هُدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه ».

ويمكن المشاركة بدعم المجلة بعمل حوالة بنكية أو سويفت أو تلكس أو شيك مصرفي على بنك فيصل الإسلامي فرع القاهرة حساب رقم ١٩١٥٩٠ باسم مجلة التوحيد - أنصار السنة - وفقنا الله وإياكم لما يحبه ويرضاه.

التوحيد
تصدر عن
جمعية أنصار السنة المحمدية
رئيس التحرير

أسرة مجلة التوحيد